الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الفنون

شعبة فنون العرض

تخصص: (التراث الموسيقي الجزائري)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب :

الطابع الصوفي للموسيقى الأندلسية في مدينة مستغانم

المسمع سي لحسن بلخير نموذجا.

من إعداد الطالبتان

بلبشير هاجر

حيرش ايمان

تحت إشراف

د. بسدات عبد الصمد

لجنة المناقشة

أ.د حيفري نوال.....رئيسة

د. بسّدات عبد الصّمد..... مشرفا و مقرّرا

أ.د منصور كريمة..... مناقشة

السنة الجامعية 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله محمد

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص شكرنا و امتناننا لكل من كان له الفضل في إتمام هذه الرسالة من عائلة و أصدقاء و كذا الأساتذة و الإداريين الكرام .

كما لا يسعنا إلا أن نتوجه بخالص عرفاننا للأستاذ المؤطر :الدكتور بسدات عبد الصمد .الذي لم يبخل علينا من وقته و جهده

جزاكم الله كل الخير

المقدمة

المقدمة:

تختلف و تتنوع وجوه التعبير و التواصل عند الإنسان و كذا تتطور مع الزمان و من أقدم و أبلغ وسائل التعبير نجد الموسيقى فالموسيقى هذا النسق التعبيري اللا متناهي في الدقة و الإبداع يعتبر وسيلة للتواصل تستعمل فيها الآلات الموسيقية في تبليغ معانيها فهي تساعدنا على إيصال العديد من الأحاسيس التي تعجز الكلمات عن تبليغها ،فانتشار الموسيقى في العالم أصبح وسيلة لا تقتصر عن التعبير فقط بل أصبحت لغة عالمية تتداول في أوساط الشعوب .

تعد الجزائر خزانا كبيرا لتعدد الإيقاعات الموسيقية بقديمها و حديثها إلى جانب تعدد الآلات الموسيقية حيث تعد جذور الموسيقى في الجزائر إلى أكثر من ستة ألاف سنة من الآن ، و قد ساهم اتساع مساحتها إلى تعدد الأنواع الموسيقية التي تمركزت في مختلف ربوع الوطن بالإضافة لتأثرها بجميع الحضارات المتعاقبة على أرضها فمن الرستميين إلى الفاطميين ،و من الحماديين و الزيانيين و وصول إلى الحكم العثماني ، تشتهر الموسيقى الجزائرية بثرائها و تنوعها الكبيريين من حيث الأنماط الموسيقية، إذ يرجع ذلك أيضا إلى توافد ثقافات المغايرة عن طريق الاستعماران كالحملات الاسبانية للجزائر و الاحتلال الفرنسي مما جعل الفن الجزائري و الموسيقى الجزائرية تنوعا فيها يشمل اغلب الطبوع الموسيقية العالمية في وقتنا الحاضر فلليهود أيضا اثر كبير على بروز الطبوع الجزائرية لاسيما منها الأندلسية و الغناء البدوي كما أن للغرب أثر على تطورها و دمجها مع الموسيقى العالمية كالجاز و الراب ... ، و أيضا ماهي مستنتجة من الأنماط الإفريقية .

و نحط رحال بحثنا في مدينة مستغانم التي انتشر فيها ذلك النوع الموسيقي السامي الروحي الحاضر في ذاكرتنا الحضارية و الوجدانية المغاربية عامة و الجزائرية خاصة ألا و هو السماع الصوفي.

يعتبر السماع الصوفي وسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى حيث أنه ذلك الإنشاد المنظم موسيقيا على أساس قصائد ألفها مشايخ التصوف الإسلامي لمدح رسول الله و ذكر محاسن خلق الله عزوجل، أما مصدره فيعود إلى طبيعة الكائن البشري ذاته.

و قد انتشرت الزوايا في الجزائر لتسهيل انعقاد مجالس السماع لتأدية المريدون للأشعار و الأذكار من اجل تطهير القلوب و الدرج أعلى المقامات حيث نجد المريد ينتقل من مقام إلى مقام صانعا بها لنفسه سلاحا يواجه به مشاكل الحياة، حيث نجد في الزاوية العلاوية بمستغانم كل الأوجه الدينية و التربوية التي تهدف إلى تهذيب الأخلاق و تغذية الروح و تنقيتها من كل الشوائب و ربط الإنسان بالله من خلال كل مجامعها و محاضنها.

1ـإشكالية البحث:

يعتبر السماع الصوفي فن يرتقي بروح الإنسان و يسمو بها، و لإحياء هذا الموروث الثقافي يجب دراسته دراسة تحليلية و الإحاطة بكل جوانبه خاصة التاريخية منها و هذا ما يضعنا أمام الإشكالية التالية :

ما هي الأبعاد التاريخية للسماع الصوفي و ماهي مقوماته و مميزاته.، و هل يمكن إخضاعه لدراسة تحليلية؟

2ـ تساؤلات فرعية

ـ ما هي مكانة السماع الصوفي في الطرق الصوفية خاصة منها الطريقة العلاوية ؟

ـ ما أهم المقامات و الطبوع المستخدمة في السماع الصوفي؟

ـ كيف يمكن المحافظة على هذا النوع الموسيقي؟

ـ هل يعتبر هذا النوع من الموسيقى هادفا؟

3ـ فرضيات البحث:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة قمنا بوضع فرضيات لهده الدراسة المتواضعة

- بإمكان السماع الصوفي أن يكون موسيقى هادفة و تعبر عن شخصية مجتمع بكامله.
- السماع الصوفي تغلب عليه السلالم الشرقية من " رست , بيات و عجم ... الخ " و كذا مجموعة من الطبوع الأندلسية كالزيدان و الجهاركاه ، رمل الماية ...
- موسيقى السماع حاضرة في المناسبات المختلفة خاصة في المناسبات الدينية.
- هناك علماء و صوفيين كرسوا حياتهم من اجل الحفاظ على الموروث الثقافي و الديني و من الواجب علينا أن نقوم بدراسة حياتهم الشخصية و العلمية و الاهتمام بما قدموه لنا .

4- المنهج المتبع :

لقد قمنا باختيار في هذا الموضوع المنهج التاريخي من اجل تصحيح بعض المفاهيم لدى متصوفة العصر الحديث من خلال اداءات شيوخ الصوفية عبر العصور و للمحافظة على التراث الإسلامي ، و للتعريف و غربلة المفاهيم الخاصة بالسماع الصوفي اتبعنا المنهج الوصفي ، و كذا اعتمدنا على المنهج التحليلي لتحليل بعض من القصائد الصوفية .

5- خطة البحث :

لقد قمنا بتقسيم هذا البحث إلى فصلين:

الفصل الأول : الإطار النظري

الذي تحت عنوان خصائص و مميزات السماع الصوفي، و يندرج منه ثلاث مباحث

المبحث الأول : ماهية التصوف

لقد قمنا في هذا المبحث بتقديم مفهوم للتصوف و تاريخه و مراحله تطوره كما تطرقنا لتعريف الطريقة الصوفية

المبحث الثاني : التصوف و الفن

في هذا المبحث قمنا بإبراز العلاقة بين التصوف و الفن كما تحدثنا عن خصائص السماع الصوفي و التعريف بأقسام السماع منها الشعر الغناء و الموشح ... و تقديم مفهوما عن السماع عند الصوفية

المبحث الثالث : السماع الصوفي في مستغانم

خصصنا التحدث في هذا المبحث عن السماع الصوفي في منطقة مستغانم و الزاوية العلاوية بتناول أهم مميزاته و شروط أداءه و كذا تعمقنا في معرفة الآلات و الطبوع و كذا المقامات المستعملة في السماع الصوفي بمستغانم ، و خصصنا بالحديث عن الطرب و الموسيقى في زوايا مستغانم

الفصل الثاني : الإطار التطبيقي

في هذا الفصل الذي هو تحت عنوان دراسة تحليلية لقصائد صوفية و يندرج منه مبحثين

المبحث الأول : التعرف على الشيخ سي لحسن بلخير ألا و هو أحد المسمعين الصوفيين أبناء الزاوية العلاوية و تقديم أهم أعماله على طبق مزود بالعلم

المبحث الثاني : تحليل قصيدتين من السماع الصوفي

دراسة الأغنية الأولى و التي بعنوان تشفع يا رسول الله فينا تعرفنا على مقامه و طريقة إلقاءها .

الأغنية الثانية تحت عنوان ماراحاتي تطرقنا بمعرفة أهم خصائصها من طبع تغنى عليه و إيقاع و كذا أهم المناسبات التي تؤدى فيها .

6- أهداف البحث :

1- التعريف بالسماع الصوفي و تاريخه .

2- الإحاطة بالخصائص الموسيقية لهذا الفن.

4- التعريف بأهم رواد هذا الفن و إحياء هذا التراث .

5-تدوين و دراسة تحليلية لأحد نماذج هذه الموسيقى.

6- التشجيع على معرفة تاريخ الفن الصوفي الأصيل .

7- حث الشباب على حب هذا النوع من الموسيقى لإحياء المناسبات خاصة الدينية منها.

7- أهمية البحث:

- الحفاظ على الموروث الثقافي في ظل عزوف معظم شباب اليوم إلى الموسيقى المنحطة .
- إحياء الأغاني الصوفية المجهولة و المفقودة أحيانا.
- إبراز قيمة هذا الفن و إعطائه قيمته الحقيقية.
- تحليل، تدوين و توثيق الموسيقى الصوفية للحفاظ عليها.
- النهوض بهذا الفن المنسي و تعريفه للأجيال القادمة .

8- أسباب اختيار الموضوع:

كان لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب

الأسباب الذاتية :

1- الاهتمام الشخصي و الارتباط بالثقافة الجزائرية .

2- الاحتكاك بهذه الثقافة.

3- الاهتمام بقصائد مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و القصائد الدينية التي تردد في المناسبات.

4- حبنا الشديد لهذا النوع من الموسيقى .

الأسباب الموضوعية :

1- المحافظة على الموروث الثقافي الذي يرمز للهوية الجزائرية .

2- غياب التدوين و انعدامه في بعض المناطق يجعلنا أمام مسؤولية تقودنا لحتمية الحفاظ على هذا الموروث .

3- المساهمة و لو بشكل قليل في إثراء مكتبة قسم فنون العرض تخصص التراث الموسيقي الجزائري بهذا النوع من الدراسات.

4- الانتقال من الثقافة الشفوية إلى الكتابية

9- حدود البحث :

- الحد المكاني: منطقة مستغانم بحي تيجديت العتيق الذي يحتوي على أكبر عدد من الزوايا و الأضرحة في المدينة .
- الحد الزماني: تم إعداد البحث خلال السنة الجامعية 2021-2022 في إطار تحضير رسالة الماستر. .
- الحد الفني: فيما يخص الجانب التحليلي تناولنا قصيدتين من السماع الصوفي {تشفع يا رسول الله فينا ، ما راحاتي }

10- صعوبات البحث:

من بين أهم الصعوبات

- قلة المصادر و المراجع و الكتب .
- عدم تدوين المؤلفين لهدا النوع من الموسيقى .
- قلة المعلومات في الكتب و المنشورات.
- أهل الاختصاص هم فقط شيوخ كبار يتمتعون بالذاكرة الشفوية فقط و قد تعذر علينا الوصول إليهم أو الاتصال بهم.

11- الدراسات السابقة

نظرا إلى أن موضوع دراسة السماع الصوفي دراسة موسيقية ناقصا لم يتسنى لنا أن نجد دراسات عديدة عن هذا الموضوع ، ما عدا مذكرة في كلية الأدب العربي و الفنون بجامعة عبد الحميد بن باديس قمنا بمطالعتها

ـ رسالة راجعي عبد العزيز بعنوان " السماع الصوفي مقامات و طبوع ،دراسة حالة الطريقة العلاوية بمستغانم " رسالة لنيل شهادة الماستر جامعة عبد الحميد بن باديس 2020-2021 ، و قد تناولت منها الإيقاعات .

12- مصطلحات البحث:

الزاوية :إن الزاوية بناية ذات طابع ديني و ثقافي يقيم فيها الشيخ الصوفي ، يؤدي فيها صلواته الخمس و يعتكف فيها للعبادة و الأوراد ، يخدمه متطوعون نذروا أنفسهم لخدمة الزاوية ، و يعد كتاب الدراية للغبريني أول مصدر في المغرب الأوسط يتحدث عن طهور الزاوية في أواخر القرن 6 هـ و المتمثلة في زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي 611 هـ / 1215 م فالزاوية تمتلك إذا دورا تربويا و تمثل إرساء ثقافيا و نحن نعيش الآن تخريبا تدريجيا لهذه الأماكن أو تهميشا لها ، الشيء الذي تسبب في فقدان الإنسان لشخصيته في الجزائر و في جميع بلدان العالم الإسلامي ، كما أن الأجيال اللاحقة التي لم تتبع سوى التعليم المدرسي فقدت معالمها الأصلية

الإيقاع الغنائي: نقصد به الخلايا الإيقاعية الموجودة في المقاطع اللفظية التي تتركب منها الأغنية.

المسمع : شخص ينشد القصائد و ينظم الإيقاع و الوزن خلال حلقات الذكر عند الصوفية

الطبع :هو السلم المستعمل عند الموسيقيين في تراث النوبات و هو ما يسمى بالمقام في المشرق العربي

الذكر: هو حفظ الشيء و تذكره و الذكر يعني الصلاة، قراءة القران ،التسبيح ،الدعاء،الشكر و الطاعة

الهيللة: هي قول "لا اله إلا الله " إما بطريقة فردية أو جماعية و تكون بشكل تكراري

الأكابيلا : و هي كلمة ايطالية تعني الغناء الجماعي الكورالي الذي لا يعتمد على مصاحبة من اي نوع ،فهي في الأصوات البشرية فقط على شكل كورال بوليفوني ،و انتشر هذا اللفظ في الوسط الإنشادي بمعنى الغناء بدون أي مصاحبة و صارت تطلق كذلك على الغناء الفردي للأشخاص اللذين يغنون دون مصاحبة.

الفصل الأول:

خصائص و مميزات السماع الصوفي

المبحث الأول : ماهية التصوف

المبحث الثاني : التصوف و الفن

المبحث الثالث : السماع الصوفي في مستغانم

تمهيد :

يعد السماع الصوفي من الفنون الروحية الأصيلة و المتجذرة في التربية الإسلامية ، و من خلاله استطاع المتصوفة أن يجردوا الغناء من نخبويته و يجعلوه متداولا بين العامة ، و السماع ينفتح على بقية الألوان الموسيقية فيأخذ منها ما يمكنه من الاستمرار و التطور ،و السماع من الفنون الملحقة بالذكر الذي يقرب العبد من ربه .

المبحث الأول :مذهب التصوف

1- ماهية التصوف

التصوف هو ابتغاء مرضات الله و عقد النية الخالصة لله عز و جل و نعني بالتصوف امتناع النفس عن الدنيا أو العكوف عن العبادة و الانقطاع إلى الله ،و" الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها ،و الزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[1]".

و تتحدث بعض الروايات عن ظهور التصوف خلال" العصر الجاهلي بينما تجمع أغلب مصادر التصوف على أن ظهوره كان قبل أن تكتمل المائة الثانية للهجرة[2]"

و هو علم من علوم الدين الإسلامي يتميز بالزهد و الحضرة و الابتعاد عن كل ما هو دنيوي و اقتراب إلى كل ما هو يقرب إلى الله عز و جل.

ـ و التصوف تحدث عنه الكثير من العلماء و الباحثين و المؤرخين من خلال الكتب و الأبحاث "و التصوف ذلك الاتجاه الفكري الداعي إلى إخلاص النية لله في العبادة و تطهير النفس البشرية من الأردان و الأمراض الباطنة الداعي إلى الوصول إلى مقام الإحسان و هو أن تعبد الله كأنك تراه " [3]

و جاءت تعريفات عديدة و متعددة للتصوف و المتصوفة حيث قال ابن تيمية "إن النسبة في الصوفية إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد "[4] سميت بالصوفية لما لها من نقاء في أسرارها و صفاء آثارها، فالصوفي من طهر قلبه لله وحده، و هم صوفية لأنهم في الصف الأول أمام الله بإقبالهم و توجههم إليه.

1 عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة، تحقيق حجر عاصي، منشورات دار الكتب الهلال،بيروت1991 ص295.

2 الطاهر بونابي كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ه /6 و7ه/ 12و13م/، نشأته، تيارته، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي، أستاذ بجامعة محمد بوضياف- المسيلة- قسم التاريخ- مساهمة في التاريخ الديني و الاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط ، ص 36.

3عبد المنعم القاسمي الحسيني ، كتاب أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى،دار الخليل القاسمي،الطبعة 1427 ، ص08

4 أمين بن احمد بن عبد الله السعدي،الصوفية في حضر موت شانها، أصولها، آثارها عرض و نقد ، ط01 ، دار التوحد للنشر الرياض 2008، ص 48.

و في الغالبية إن المصادر الموثوقة بها" أرجعت التصوف إلى الصوف باعتباره الأقرب إلى الصواب ... فكان زهد المتصوفة بلبس الصوف الخشن، فسموا من اجل ذلك بالصوفية و هذه التسمية هي الصحيحة التي تتفق مع اللغة" [1] .

و يرى جان شوفلي أن اشتقاق الصوفية اللغوي يرجع إلى اللفظ الإغريقي الأصل و هو sophos، shphia و هي الحكمة ، و قد نتج عن هذا الاشتقاق مدرسة في الحكمة ، و يختم اعتقاده هذا بقوله " و مهما يكن في الأمر فان المتصوفة أسسوا مدارس الحكمة في العالم الإسلامي "[2].

ـ و حسب محمد حسين الذهبي أن التصوف ينقسم إلى قسمين أساسيين :

1"/*تصوف نظري* : و هو التصوف الذي يقوم على البحث و الدراسة

2/*تصوف عملي* : و هو التصوف الذي يقوم على التقشف و الزهد و التفاني في طاعة الله "[3] .

أما فيما يخص المفهوم الاصطلاحي للتصوف فهو:"كان في البداية إشعاعا نفسيا خالصا يصدر من نفوس طاهرة تملكها الشوق للكمال الروحي ،فزهدت في متاع الدنيا و تخلصت من المادة تقربا إلى الله عزوجل ثم طور ابتداء من القرن 2هـ ليصبح فكرا و فلسفة و مذهبا"[4] .

و حسبما يقول الشيخ العلاوي مؤسس الطريقة العلاوية بمدينة مستغانم في مقال نشر في

1 الطالبة بلمبروك فضيلة ،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ثورات الطرق الصوفية في أواخر العهد العثماني" التيجانية" نموذجا-السنة الجامعية 2013/2012م،ص17.

2 الدكتور سالم عبد الرزاق سليمان المصري، كتاب شعر التصوف في الأندلس، كلية التربية بجامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص19.

3 الطالب عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي ،رسالة نيل الماجستير السماع عند الصوفية ،عرض و نقد على ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة ،تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، ص121 .

4الطالبة بلمبروك فضيلة، نفس المرجع السابق، ص18.

جريدة البلاغ عن المتصوفة، "ولا نقول في المتصوفة و في غيرهم من خاصة الأمة سوى أنهم قوم خصوا بالقربة من الله و انفردوا بالعزائم في أفعالهم ، و بغوامض العلوم في أقوالهم و بمكارم الأخلاق في أحوالهم ،و أننا لا نقبل من أفعال أو أقوال المكلفين إلا ما اتفق مع الشرع إما أصلا وإما مرجعا"[1].

ـ تكلم النبي صلى الله عليه و سلم في الممارسة الصوفية من خلال حديثين صحيحين ،اعتبر في الأول أن الفرائض و النوافل طريق إلى الله بقوله "من عادى لي و ليا فقد آذنته بالحرب ،و ماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه و مازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها و لئن سألني لأعطينه ،و لئن استعاذني لأعيذنه ..."[2] و الثاني في "عرض سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام و عن الإيمان ثم عن الإحسان فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك "[3].

ـ فالصوفي ليس ثوريا بالمعنى الذي نفهمه اليوم، لكن مجدد و منعش للحياة، "انه يجدد لكنه لا يستخدم أبدا وسائل عدوانية تجاه المجتمع، فهو يستعمل مناهج الإيقاظ و يهاجم النفس لكن دون الجسد"[4].

2- مراحل تطور التصوف:

بدأ التصوف منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان عليه الصلاة و السلام يبقى يتعبد و يزهد و هو في غار حراء لساعات و أيام طويلة دون أن يحس أو يعلم ما يحدث في العالم الخارجي ، و هو في الحضرة الإلهية ، و كان من أول الزهاد و بعدها أصحابه و التابعين و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم استمر هذا الزهد عند فئة قليلة من المتصوفين و بعدها تطور و اتسعت بقعته خاصة مع الفتوحات الإسلامية من المشرق إلى المغرب العربي مرورا بالأندلس حتى وصلت إلى الجزائر.

---

1 صلاح مؤيد العقبي، كتاب الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر، تاريخها و نشاطها ، دار البرق بيروت ،مكتبة الشرق ،حقوق الطبع 2002 ،ص42.

2 أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزء 5 ، ط3، تحقيق مصطفى ديب البغا ،دار ابن كثير دمشق 1407ه/ 1987م ،ص2384.

3 نفس المصدر، ج1 ، ص 27.

4 الشيخ خالد بن تونس، كتاب التصوف قلب الإسلام ، عربه عن الفرنسية معهد الف –باريس- بإشراف سماحة المؤلف ،دار الجيل، ص 29.

و يعود" ظهور الصوفية بالمشرق الإسلامي إلى القرن 3 هـ/9 م ، حيث نجحت الطرق الصوفية بالعراق و مصر في توفير جو روحي مناسب جذب إليهم المريدين الذين اخذوا مبادئ و مسارات الطريق من مشايخها .

أما في أوائل القرن" 6هـ /12 م هو البداية التاريخية لظهور التصوف في المغرب الأوسط ـ الجزائر ـ بعد إرهاصات دينية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية و فكرية دامت 3 قرون ، القرنين 6 هـ و 7هـ أي 12 م و 13 م هما مرحلة الاعتراف الرسمي للدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأوسط بالصوفية كشريحة مؤثرة في الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و الثقافية" [1].

أما في القرن" 7 هـ/ 13 م فقد أدى انهزام الموحدين بمعركة العقاب سنة 609 هـ / 1212م إلى عودة و ظهور الثوار الطامعين في الحكم و تضيق المجتمع الأندلسي و من ورائه الفقهاء الخناق على الصوفية مما جعلهم ينزحون مع النازحين إلى الدولة الحفصية حيث استقر عدد منهم في بجاية و آخرون بتلمسان الزيانية ،و يعتبر القرن 7هـ /13 م الحد الفاصل بين التصوف النقي الخالي من الشعوذة و الخرافات و بداية نشاط الطرفية في القرنيين 8 و 9 هـ / 14 و 15 م و حتى المدارس الصوفية التي مثلت التصوف النقي على مستوى بجاية و قسنطينة و تلمسان"[2] .

و منذ أوائل القرن 6هـ /12م" تحولت هذه الثقافة الصوفية إلى تأثير أندلسي خالص في حقل التصوف بالمغرب الأوسط بفضل غزارة التأليف الأندلسية في مجال التصوف و إسهامات صوفيتها في تبسيط أمهات مصادر التصوف المشرقي لجمهور الطلبة و المريدين في كل من بجاية و تلمسان و قد استمر هذا التأثير حتى بداية القرن 8 هـ /14 م ، حيث استقر في تلمسان أبو عبد الله محمد بن سعادة 656 هـ / 1196م ، كما نزل بها أبو إسحاق إبراهيم بن سيول الاشبيلي و أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التجيبي 610 هـ / 1210 م. بالإضافة إلى الولايات الأخرى ، أما بجاية فقد كانت أوفر حظا في هذه المرحلة من تلمسان إذ استقر بها أبو محمد عبد الحق الاشبيلي 581 هـ /1182 م" [3] .

---

1 الطاهر بونابي كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ه /6 و7ه/ 12و13م/، نشأته، تيارته، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي، أستاذ بجامعة محمد بوضياف- المسيلة- قسم التاريخ- مساهمة في التاريخ الديني و الاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط ، ص 52

2 الطالب الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 ه- 14و 15 م-أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط القسم 2، 2009/2008 ، جامعة الجزائر ،ص ، ص 314

3 نفس المصدر السابق ، ص ،103/102

و حسب" ابن فرحون وشمي الدين محمد الذهبي و محمد شاكر الكتبي فان دخول عبد الحق الاشبيلي إلى بجاية كان فرارا من الفتنة التي وقعت بالأندلس أواخر حكم المرابطين " [1].

و قد ازدادت أهمية بجاية كمركز للتصوف منذ أن نزل بها أبومدين شعيب بن الحسين الاشبيلي 594 هـ / 1198 م.

و" حسب الحاج النميري 774 هـ / 1372 م الذي دخل بجاية سنة 758 هـ / 1356 م و وصف فقهائها بان لهم في العلم و الدين أفسح الميادين و نفس الانطباع خص به أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني 771 هـ / 1369 م ، علماء بجاية في القرن 8 هـ/ 14م بقوله دخلت بجاية فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها "[2].

إن التصوف الذي انتشر في الجزائر منذ ما قبل مجيء العثمانيين و ازدهر و ازداد انتشار الزوايا وكثر ابتداع الأوراد و تشييع العثمانيين لهذه الظاهرة ، و ازداد تأسيس الطرق الصوفية التي ملأت كل البلاد ، أما بعد سقوط الأندلس كانت هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية و اختلطوا بالمتصوفين الجزائريين و نشرو أفكارهم في المجتمع الجزائري و بدا التصوف ينتشر في الجزائر بسرعة وأثر ذلك في تطور الجزائر و انفتاحها على العلوم الأخرى ،و هجرة العديد من الصوفية الأندلسيين الذين استقروا بالجزائر ، خاصة في منطقة بجاية و تلمسان.

و من أهم العلماء الأندلسيين النازلين بالجزائر" بتلمسان محمد بن أبي القاسم الشاطي ، و بقسنطينة : الفقيه الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن الوزير الغرناطي ، و ببجاية أبو القاسم عبد الرحمان يحيى القريشي"[3].

و أدى هذا التمازج الفكري بين العلماء النازحين من الأندلس و العلماء الجزائريين إلى نشر التصوف على مدى واسع و" غطى مناطق عديدة من الوطن ففي كل بقعة منه زاوية أو

مقام ولي صالح و حلقة ذكر أو شيخ طريقة يدعو إلى التمسك بالشريعة و الاقتداء بسنة

---

1 كتاب الديباج المذهب ،ج2 ،ص55 تذكرة الحفاظ ، ج 3 ،دار التراث العربي بيروت 1356ه/1920 م ،ص 1351.

2 الطاهر بونابي ،كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ه /6 و7ه/ 12و13م/، نشأته، تيارته، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي، أستاذ بجامعة محمد بوضياف- المسيلة- قسم التاريخ- مساهمة في التاريخ الديني و الاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط ، ص 160

3 الطالب الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 ه- 14و 15 م-أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط القسم 2، 2009/2008 ، جامعة الجزائر ،ص382.

المصطفى صلى الله عليه و سلم ... و كان من أوائل الذين نشروا التصوف بالجزائر الشيخ

عبد السلام التونسي ، أبومدين الغوث ، و من أقطابه أيضا نذكر على سبيل المثال :عبد الرحمان الثعالبي ،أحمد بن عبد الله الزواوي"[1]. و قد وجد التصوف طرقه لأول مرة في "بلاد القبائل و بجاية و المناطق المحيطة و كانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن بواسطة رجال التصوف الموجودين بها "[2].

3- الطريقة الصوفية

ا ـ الطريقة لغة : جمع طريق أو ما يمكن التوصل إليه بصحيح النظر فيه إلى المطلوب.

و قوله تعالى :"و ألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غدقا " [3]

ب ـ الطريقة اصطلاحا :

فهي تعني "سيرة السالكين في تطبيق مراسم الله و حدوده و أحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها بدون راحة أو توقف يقطعون خلالها المنازل و يترقون في المقامات و قد يكون ذلك تحت إشراف قطب عارف و شيخ مربي"[4].

و هي أيضا المنهج أو السبيل الذي يقوم عليه سلوكهم و سيرهم إلى حضرة الله ، و إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله العبادية كأقوال الصباح و المساء و عند النوم و عند اليقظة.

---

1 عبد المنعم القاسمي الحسيني ، كتاب أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى،دار الخليل القاسمي،الطبعة 1427 ، ص26/25.

2 الطالبة بلمبروك فضيلة ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ثورات الطرق الصوفية في أواخر العهد العثماني" التيجانية" نموذجا-السنة الجامعية 2013/2012م، ص 40.

3سورة الجن الآية 16.

4 الطالب الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 ه- 14و 15 م-أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط القسم 2، 2009/2008 ، جامعة الجزائر ،ص437.

في عهد الاحتلال الفرنسي وجدنا أن أول من قاد الثورة هي" الطريقة القادرية بزعامة الشيخ محي الدين ثم ابنه الأمير عبد القادر الذي تعاونت معه معظم الطرق الصوفية و على رأسها الرحمانية ،الشادلية و بعد انتهاء مقاومة الأمير تولى القيادة صوفية آخرون ينتمون إلى طرق مختلفة : قادرية ، رحمانيةّ، شادلية ، سنوسية ، شيخية ... لعل من أبرزهم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي من زعماء ثورة الزعاطشة 1849 م ، الشيخ المختار الجلالي ، محمد الطيب بن براهيم الشريف ، الصادق بن الحاج المصمودي ، محمد التواتي السنوسي ، الشيخ الحداد صاحب ثورة 1871 م ، الشيخ وبوعمامة"[1] ... و القائمة طويلة.

المبحث الثاني: التصوف و الفن

1 ـ ماهية التصوف و الفن

و قد مزج الصوفية بين التصوف و الفن و الموسيقى فولعهم بالسماع و الألحان الطيبة قديم ،"فكان ذو النون يراه مخاطبات و إشارات إلى الحق أودعها كل طيب و طيبة ،و كان يحيى ابن معاذ يراه روحه من الله لقلب فيه حب الله ،فبمثل هذه المواقف استند الصوفية في تبنيهم للمعاني الفتية و إذاعتها ،و بها مهدوا الطريق لعملية استصحاب الذكر و الأشعار بالحان الفتية في مجالسم ،و كيف لا ننسى أن حياة الصوفية قامت على الذوق ،و الذوق أساس التفوق في الفنون ،فالصوفي الحق هو رجل ذواقة يلتمس المعاني في جميع ما ينظر و ما يقرأ و ما يسمع ،و الحب الإلهي جعل الصوفي يرى كل شيء و يرى من ثم أن كل صوت قابل لأن يرتفع إلى مستوى التعبير عن التجلي الإلهي ،و يمكننا أن نسجل بأن الصوفية قد تفردوا بين رجال الدين بالتشبع للسماع و الموسيقى و لم يشترطوا إلا حسن النية"[2].

التصوف تجربة خاصة و ليس شيئا مشتركا بين جميع الناس و لكل صوفي طريقة معينة في التعبير عن حاله "فهو بعبارة أخرى خبرة ذاتية و هذا يجعل من التصوف شيئا قريبا من الفن خصوصا وأن أصحابه على الاستبطان في وصف حالتهم كما أنهم يلجؤون في تعبيرهم عن هذه الحالات"[3].

1 عبد المنعم القاسمي الحسيني ، كتاب أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى،دار الخليل القاسمي،الطبعة 1427 ، ص15/14.

2 الدكتور قويدر قيداري ، مجلة الدراسات الثقافية و اللغوية الفنية ،العدد 04 جانفي 2019 المركز الديمقراطي العربي ،ألمانيا ،برلين ،ص 250

3الطالبة عديلة بوشكيرو ،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تجليات المصطلح الصوفي في ديوان الأمير عبد القادر،قسم اللغة العربية و الأدب ـ السنة الجامعية 2015/2014م،ص54

حيث قال أسعد أحمد علي " أما التصوف و الفن فأسلوبان في التعبير عن محبة الجمال ، و قد يرتفع الفنان في لحضاته الفائقة إلى سوية الصوفي فتكون محبة متعلقة بحقيقة الحقائق ، و إن الفنون على تنوعها من موسيقى و رقص و غناء و شعر و تصوير تعبر بالنغمة و الحركة و الصوت و التفعيلة و اللون عن جانبها الذي يربطها بالمبدع الأكبر و بذلك يلتقي الفنان الكبير الملهم مع الصوفي العارف الفني "[1].

الصوفية يتخذون من الفن طريقا إلى الحياة الروحية الخالصة أي" يخاطبون القيم الروحية بلغة الجمال الفنية ، و قد فطنوا إلى أهمية الألحان الطيبة في تثقيف الأرواح و القلوب و إلى دورها في تحريك مشاعر الخير و الفضائل في النفس الإنسانية التواقة إلى السمو الروحي ، فأدرجوا السماع في حلقات الذكر"[2] .

2- علاقة المتصوفة بالفن

إن الفن لون من ألوان النشاط الروحي يقوم على العاطفة و يأبى التقيد بقيود المنطق العقلي الضيقة ،و الدين كذلك ينبع من الروح و الإحساس و " و قد رأى هيجل أن مهمة الفن في المجتمع لا تكاد تختلف عن مهمة الدين و الفلسفة ... فالفن عنده عمل العبقرية و في العبقرية نسيان كامل للشخصية و علاقاتها جميعا ،و إذ يخرج الفنان من شخصية و ينسى غايته و مصالحه حيث يصبح ذاتا عارفة خالصة"[3] .

كان الصوفية من أكثر طوائف المجتمع الإسلامي حبا للفن و للحياة الإسلامية في نفس الوقت ، و خاصة في مجال السماع الصوفي الذي جعلوا له في حياتهم أهمية كبرى.

---

1 علي اسعد احمد ،فن المنتخب المعاني و عرفانه، دار الرائد العربي ، بيروت، الطبعة 2 ،ص 485/484.

2 الدكتور قويدر قيداري ، مجلة الدراسات الثقافية و اللغوية الفنية ،العدد 04 جانفي 2019 المركز الديمقراطي العربي ،ألمانيا ،برلين ،ص 251

3 الطالبة عديلة بوشكيرو ،مدكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تجليات المصطلح الصوفي في ديوان الأمير عبد القادر،قسم اللغة العربية و الأدب - السنة الجامعية 2015/2014م،ص 35.

3- الموسيقى الصوفية

تتميز الموسيقى الصوفية عن باقي أنواع الموسيقى الأخرى بالطابع الديني المحض إذ "تظهر الأنغام الموسيقية واضحة جلية في العديد من الطقوس التعبدية مثل الأذان و ترتيل القران و التمجيد و استقبال شهر رمضان و توديعه ،و تكبيرات صلاة العيد ... و حفلات الذكر بأنواعه و المولد النبوي الشريف و التهليلة"[1] .

و نلاحظ تطور هذا بسبب انتشار التصوف في كل البقاع الإسلامية و هذا بسبب الطرق الصوفية والمتصوفين الذين أعطوا لمستهم الخاصة فتعدد الطرق الصوفية و التجربة الذاتية لكل متصوف في طريقة ما أدى إلى إنشاء و ابتكار أنواع متعددة من الأذكار و الموسيقى و تعدد المقامات على حسب كل منطقة بالإضافة إلى استعمال آلالات موسيقية معينة ،فهناك من يستعمل الآلات الموسيقية الإيقاعية و هناك من يستعمل الآلات الموسيقية الوترية و هناك من يستعمل الآلات الهوائية و هناك من يستغني عن جميع الآلات الموسيقية و يستعمل الأصوات البشرية فقط.

إن الإنسان يميل بطبعه إلى الجمال "فبالذوق يستلذ ما طاب من الأطعمة و بالشم الروائح الطيبة العطرة ، و يستلذ النعومة و اللين باللمس و يستحسن الخضرة و الماء و الألوان و الوجه الحسن بالبصر في حين يستعذب بالسمع كل صوت حسن، كأصوات العنادل و رنة الأوتار و ما حسن من أصوات البشر ،إنها نفس الفطرة التي تجعل الطفل يسكن و يهدا أما عند سماع الصوت الطيب و ينام.و كما يقول الشيخ خالد بن تونس "لهذا السبب تبقى الموسيقى الملهمة على الدوام مفيدة لنا لاستحضار تلك الذكريات التي عاشتها في الأزل "[2].

كان لابد للموسيقى أن تستنشق هواء الحرية و" تعيش النغم الجميل في ظلال جمالية النص القرائي ، الذي شهد هو الآخر اقتران اللحن به عبر التلاوة القرآنية المنغمة بعض الشيء و التي كان أثرها كبيرا على سمع و عقل المسلم التي راح المسلمون يشجعون أساليب القراءة القرآنية بالنغم"[3] .

و الموسيقى كما يقول الشيخ خالد بن تونس* هي" صدى الوحي الرباني و النعم الكوني

1 بحث عام ،قسم الفلسفة و العلوم الاتسانية 2017/03/21 ، الموسيقى الدينية و تجلياتها "الموسيقى الصوفية نموذجا" مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث ،عامر بن زيد الوائلي ،باحث عراقي ، جميع الحقوق محفوظة 2017 ،ص09.

2 السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص 09.

3 نفس المصدر السابق ، ص 11.

* الشيخ خالد بن تونس ولد 19 نوفمبر 1949 بمستغانم شيخ الطريقة العلاوية كاتب مربي و محاضر كتب مقالات حول الإسلام التصوف و الروحانيات و آلف عدة كتب أهمها علاج النفوس التصوف قلب الإسلام

يجعل منها الصوفي المتحقق معراجا إلى عالم التجليات، لتحرير روحه وأنه يسمع الأصوات على اختلاف تقاطيعها في هذا الوجود ، ذكر الله"[1]

إن النغم الموسيقي يمتزج مع نغم النشأة بحيث أصل الأولى يذكر بأصل الأخرى بالمساواة و يترجمها جلال الدين الرومي بقوله " عليك أن ترقص على قلبك "[2].

ورد في الأثر من أن "الروح لما أمرها الله سبحانه و تعالى أن تستقر في جوف ادم لن تدخل إلا بتسابيح الملائكة و تراتيلهم ، إذ بدا لها أن هذا الجوف الآدمي سجنا ،بالنسبة لما هي عليه من السبحان من عالم الملكوت الحر المطلق ،فلما انتشت بحلاوة النغم الملائكي دخلت بدون عناء ، لذلك تمنح الموسيقى للروح على الدوام نوعا من السكر و السمو يدعوان الإنسان للخروج عن نطاقه المادي لمألوف"[3] و الجاحظ يؤكد على شدة تأثير الأصوات في النفوس قائلا "و أمر الصوت عجيب و تصرفه في الوجوه أعجب فمنه من يقتل كصوت الصاعقة، و منها ما يسير النفوس حتى يفرط عليها السرور فتقلق حتى ترقص و حتى ربما رمى الرجل بنفسه من حالق"[4].

4- أقسام الموسيقى الصوفية

4-1 الموشح عند الصوفية

إن ما تقدم من الحديث عن الحب عند الصوفية و علاقته بالموسيقى و ذلك الحديث الذي اهتم بكل ما هو جميل و بكل قيمه الروحية و اتخاذه سبيلا للذوبان في الذات الإلهية و في حب الله و رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال الشعر المنغم، يؤهل المتصوفة للركوب في غواصة الشعر و لا سيما شعر المديح و فن التوشيح وجد و لأول مرة في الأندلس ثم سرى منها إلى إفريقيا و المشرق.

والموشح واحد من بوابات نفوذ المتصوفة في شعرهم إلى عالم اللحن، و الموسيقى و ما ارتبط بتفرعات الموسيقى حيث وجدوا في هذا النوع من الممارسة {الموشح} فضاء رحبا و جميلا لمعانيهم، و رموزهم، فيحلقون بأنغامهم و يتأثرون بهاو" هو زبدة الشعر و خلاصة

السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص11.

2 Le soufisme et la dance chez djallal Eddine ruimi sud edution, Tunisie 1980, p 174

3 السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص 10

4 ابو عمر الجاحظ، الحيوان، ج4 ،تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ،1969 ص 191.

جوهره و صفوته و هو من الفنون التي اغرب بها أهل الغرب عن أهل المشرق،وظهروا فيها كالشمس الطالعة و الضياء المشرق"[1] و قد عرف ابن سناء الملك الموشح بأنه " كلام منظوم على وزن مخصوص ،و هذا تعريف لاغناء فيه ، فكثير من الموشحات لا تختلف في وزنها عن القصائد التقليدية و ليس لها وزن خاص بها "[2].

تؤكد المصادر أن تأثر المتصوفين بالموشحات الأندلسية، كان واضحا في استجاباتهم الملموسة و المحسوسة إذ كانوا يهتزون طربا لتلك الألحان .

تأثر المتصوفة بالموشح و الصوت الجميل العذب و الحزين في نفس الوقت يؤدي إلى راحة نفسية و جسدية و السعادة الدائمة. وكان الكثير من المولعين بالغناء يتمايلون مع لحن هذا الموشح الأندلسي و يهزون رؤوسهم بوحي من عقولهم مع انسياب اللحن في أرواحهم انسياب الماء الغدق في السواقي المبتلاة بالجفاف.

2-4 الشعر عند الصوفية

إن النصوص الشعرية الصوفية ترتبط ارتباطا وثيقا بالموسيقى و خير دليل على ذلك" التائيات الصوفية التي تحولت إلى مقامات موسيقية يتغنى بها أهل الفن الملتزم في المهرجانات العالمية للسماع الصوفي و يؤكد أحد الكتاب أن موسيقى النص الصوفي قائلا : "إن النص الصوفي في بنيته الكلية هو بالأساس نص سماعي يعتمد في تشكيله على الطاقات الإيقاعية و الموازنات الصوتية منها و المعنوية ،بوصفها عناصر إثارة تستدعي استجابة وجدانية و انفعالات أكثر مما هو نص معنى و دلالات"[3] .

لقد ترك الصوفيون تراثا ضخما من الشعر المغنى على وجه الخصوص الذي هو من إنتاج شعرائهم الكثر الذي يأتي في مقدمتهم ابن الفارض و محي الدين بن عربي و جلال الدين الرومي و الإمام البوصيري ،و ملا عثمان الموصلي والحسين بن منصور الحلاج :و ذو النون المصري ،وإبراهيم الدسوقي و عبد القادر الجيلاني و السهروردي و الإمام الغزالي .

تلعب الموسيقى دور كبير في شعر جلال الدين الرومي و هو أول من توسع في إدخالها مجالس الذكر.

1 الدكتور سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها و تطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1 ،1965، ص48

2نفس المصدر السابق ، ص 62

3 الدكتور قويدر قيداري ، مجلة الدراسات الثقافية و اللغوية الفنية ،العدد 04 جانفي 2019 المركز الديمقراطي العربي ،ألمانيا ،برلين ،ص 256

و يرى الإمام النووي رضي الله عنه " أن لا باس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحا للنبوة ،أو الإسلام ،أو كان حكمة أو في مكارم الأخلاق و نحو ذلك من أنواع الخير"[1] .

لا شك أن اتخاذ الشعر خصوصا الشعر الإيقاعي الذي ينصرف ذهن سامعه إلى اللحن الموسيقي منهجا من مناهج الفكر الصوفي في التعبير عن ارتباط الذات البشرية بالذات الإلهية في الجانب التعبدي صار واحدا من المسارات التي شهدت تطورا كبيرا على يد الكثير من شعراء الصوفية ، و تطورت نظرة التصوف إلى الشعر حتى انتقلت إلى معاملته مع اللحن أي مع الموسيقى حيث يجد الشاعر المتصوف أن السرحان و التيهان في أجواء اللحن هو انقطاع كامل عن مباهج الدنيا إلى تأمل الذات الإلهية و الطواف في أجوائها و مساحاتها غير محدودة و هو ما يتيحه اللحن الذي يهيمن على مشاعر النفس عبر الأذن.

و عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه "قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه و سلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنيهانك ؟ و كان عامر رجلا شاعرا ، فنزل يحذو بالقول يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا و لا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما افتضينا و ثبت الأقدام إن لاقينا

و ألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا

فقال رسول الله من هذا السائق ؟ قالوا عامر بن الأكوع قال: يرحمه الله "[2].

3-4 الغناء عند الصوفية

لقد تطور الغناء الصوفي بشكل أعانه على التفتح و الانفتاح الشعبي بفنونه و تقاليده المختلفة ، و صار الغناء الصوفي المعاصر معتمدا على المقامات بأنواعها و مسمياتها مثل مقام الرست و السيكاه و الجهركاه و الحجاز و البيات و الصبا ،و تأتي براعة رئيس الجوقة أو شيخها في نقل المنشدين من نغمة إلى أخرى ، و من دور إلى أخر مفصلا رئيسيا في الأداء و ما يتبعه من تأثير على السامعين.

و لقد تميزت الحياة في المجتمعات الصوفية بليالي الغناء الروحي ،حيث لم تعد تخلو ليلة واحدة من ممارسته ، ما أصبح من الواقع إطلاق تسمية ليالي السماع على تلك الليالي ،و السماع غناء تتداخل فيه عناصر متعددة من الطرب الرفيع. و هو تحديد الطرب الصافي، بما

1 المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، كتاب فضائل الصحابة ،ج16 ص 45

2 رواه البخري و مسلم نقلا غن كتاب الحقائق عن التصوف عبد القادر عيسى

فيه من موسيقى و غناء و رقص و طاقات تصب في التوجه الروحي تغلب عليه مسحة من الشعور الصادق و الحزين و العميق ،و العناصر التي تداخلت في فن السماع كانت على مستوى رفيع من التناسق و الاتساق مع طبيعة الفن الروحي الذي أسسه التصوف .

و قد كتب الكثير من المؤرخين و الرحالة و الباحثين في شؤون التصوف عن جماليات الغناء الصوفي .

4-4 السماع عند الصوفية

السماع عبارة عن استجمام و راحة للإنسان،و من خلال السماع يمكن للمريدين أن يعبروا عما يكون في قلوبهم، بل هو إطفاء لنيران المحبة و الشوق، و من خلال السماع يمكن للمريد أن يستحضر المعاني الإلهية الكامنة في قلبه ، و أن الأرواح هي التي تتحرك عند سماع كلام من عند الله.و يقول الشيخ عبد الرحمن السلمي "سمعت جدي يقول "المسمع ينبغي أن يستمع بقلب حي و نفس ميتة ، و من كان قلبه ميتا و نفسه حية لا يحل له السماع"[1].

و قال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات

"فقوم يرجعون في سماعهم على مخاطبات الحق فيما يسمعون، و قوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم و مقامهم و أوقاتهم ، فهم مرتبطون بالعلم و مطالبون بالصدق فيما يشيرون إليه من ذلك، و قوم هم الفقراء المجردون الدين قطعوا العلائق و لم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا و الجمع و المنع فهم يسمعون بطيبة قلوبهم و يليق بهم السماع فهم اقرب الناس إلى السلامة و أسلمهم من الفتنة، و كل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه طبع و تكلف"[2] ،حيث قال الشيخ أبو مدين شعيب في قصيدة ملذة العيش

ملذة العيش إلا بصحبة الفقرا هم السلاطين و السدات و الامرا

فاصحبهم و تأدب في مجالسهم و خل حضك مهما قدموك ورا

و استغنم الوقت و احضر دائما معهم و اعلم بان الرضا يختص من حضرا" [3]

إذا كان الصوفية قد عرفوا منذ الزمن القديم بانفتاحهم الديني و الفكري و ابتعادهم عن التزامات الفقهي فإن ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى عشقهم للحرية و حسهم الفني و الجمالي

بن ساحة عبد الله، أطروحة دكتوراه السماع الصوفي في الجزائر جمع و دراسة، قسم اللغة التاريخ- السنة الجامعية 2015/2014م، ص25

نفس المصدر السابق ، ص 62

نفس المصدر السابق ، ص136

المرهف ،كان الصوفية دوما يستشعرون الحرية في العديد من المائل التي يفتي فيها فقهاء الرسوم و من ذلك مسالة السماع أو الموسيقى ، و اعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة و الأنغام المستلذة و وجود الحركة التي تصاحب الصوفية عند السماع ، و لا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و انه سمعها و لم ينكر عليهم في إنشادها .

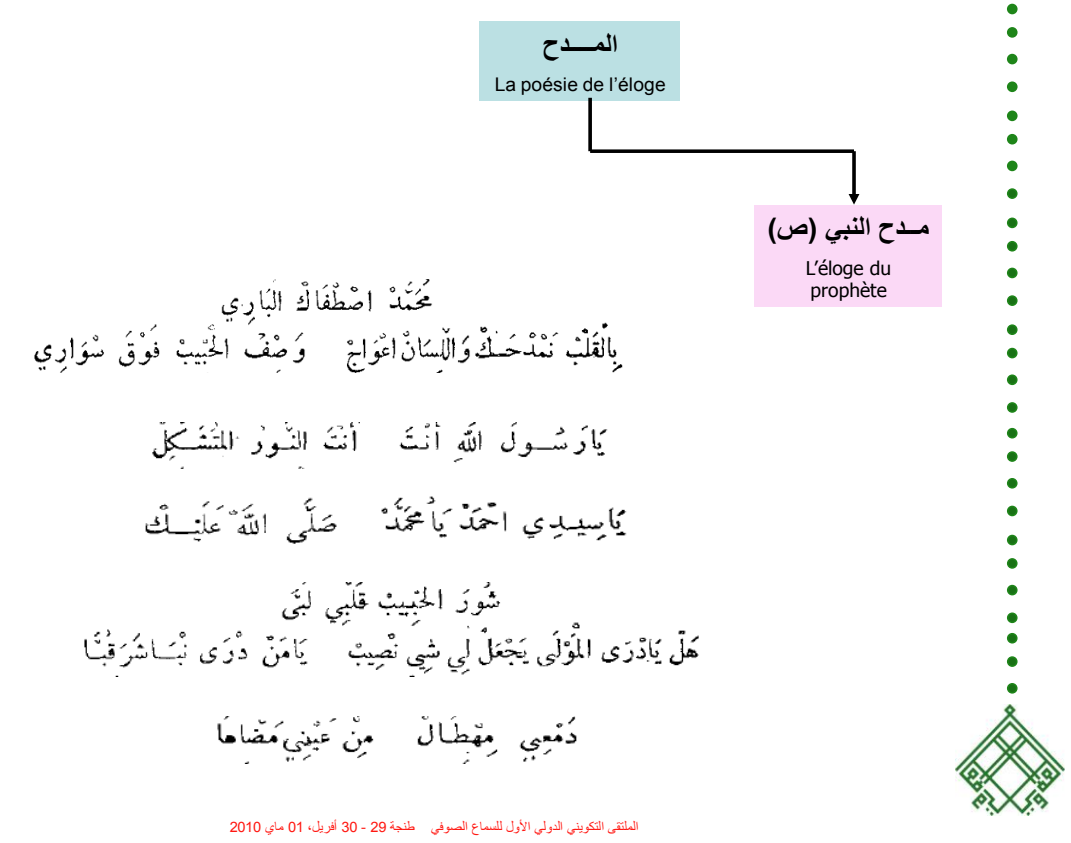

كان الصوفية يشجعون على سماع المدائح النبوية "لما لها تأثير على النفس الإنسانية و محبة الرسول صلى الله عليه و سلم، فقد ذكر محمد التهامي الحراق أن الحافز من الاعتناء بالمديح النبوي الشريف هو محبة الرسول صلى الله عليه و سلم و التعلق بجانبه و هدا دليل على الإيمان بالله"[1].

المبحث الثالث : السماع الصوفي في مستغانم

لقد تبنت مدينة مستغانم السماع الصوفي المستمد من مدرسة الصنعة على غرار انتمائها للغرب الجزائري الذي تبنت أغلبية مدنه الطابع الغرناطي و قد قام بتأدية هذا النوع من الموسيقى كبار الشيوخ لمدينة مستغانم العريقة ،و قاموا بتأديته في مجالس عظيمة و مقدسة و المناسبات الدينية، و يعتبر السماع الصوفي من أكثر المفاهيم المثيرة للجدل .

1- السماع الصوفي

1-1 ماهية السماع الصوفي

ا- السماع في اللغة:"

مادة السين و الميم و العين أصل واحي و هو إيناس الشيء بالأذن من الناس،

و كل ذي أذن تقول سمعت الشيء معا.

و السمع - الذكر الجميل - و سماع بمعنى استمع و سمعت بالشيء إذا أشعته ليتكلم به و المسمعة أي المغنية"[2] .

السماع في لسان العرب " ما سمعت به فشاع و تكلم به و كل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع، و السماع : الغناء أو المسمعة المغنية "[3].

ب - السماع اصطلاحا:

و لفظ السماع بمعناه العام هو الاستماع إلى الموسيقى و الغناء و الرقص أما عند الصوفية فهو يعني الاستماع إلى الأصوات و الألحان بالقلب في حال من الوجد و الحضرة الإلهية

1 بن ساحة عبد الله ،أطروحة دكتوراه السماع الصوفي في الجزائر جمع و دراسة،قسم اللغة التاريخ- السنة الجامعية 2015/2014م،ص68

2الطالب عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي ،رسالة نيل الماجستير السماع عند الصوفية ،عرض و نقد على ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة ،تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، ص22

3 ابن منظور ، لسان العرب، المجلد 3 ، دار صادر بيروت، لبنان ،ط1 ، 1997 ، ص336.

يقول الإمام الغزالي " و السماع سبب لصفاء القلب و هو شبكة للحق بواسطة الصفاء ويقول بكر أبو زيد " من المحدثات : التعبد بالأشعار في الأدعية و الأذكار فرادى و جماعة "[1].

و قال تعالى :" وإذ قرئ القران فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون " [2].

السماع هو إثارة القلب المملوء باليقين فتفيض العين بالدمع في حالات التشوق

و الحزن و الندم مصدقا لقوله تعالى : " و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق من الحق يقولون ربنا أمنا فاكتبنا من الشاهدين "[3].

" و يقوم السماع على ترتيل الأشعار الدينية و الصوفية وفق الطبوع الأندلسية و أساليبها في الغناء ، اعتمادا على الأصوات و الحناجر و ذلك بغية تحقيق غايات روحية ، كما يؤدى السماع في مجالس الطرق الصوفية بأن ينشد فرد أو أكثر قصيدة لشيخ من مشايخ التصوف ينتهي كل مقطع برد جمالي من المريدين سواء بالهيللة أو بالصلاة على النبي و من وقت إلى آخر يقوم المنشد المسمع بتغير اللحن { الصيغة }" [4]

و يقول الإمام الغزالي " و الصفاء بسبب الكشف و منها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان قصر قبل ذلك ، بل القلب إذ صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه ، يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة و بالرؤيا إذا كان في المنام"[5] .

1الطالب عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي ،رسالة نيل الماجستير السماع عند الصوفية ،عرض و نقد على ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة ،تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، ص98

2 سورة الأعراف الآية 204

سورة المائدة آية 83

4 الطالب راجعي عبد العزيز،رسالة نيل الماستر السماع الصوفي مقامات و طبوع ،دراسة حالة الطريقة العلاوية بمستغانم ،إشراف الدكتور بسدات عبد الصمد 2021/2020 ،ص 10.

5 الطالب عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي ،رسالة نيل الماجستير السماع عند الصوفية ،عرض و نقد على ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة ،تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، ص117.

و يقول الدكتور أحمد الخليع* في حصته التلفزيونية المشهورة أسرار السماع أن " السامع هو الذي يفهم المسموع و أن القلب المهيأ للسمع هو الذي يتقوى بذلك المسموع ، و أن هؤلاء الذين يسمعون و يتواجدون إنما يسمعون لأنهم فهموا ما لم يسمعه الآخرون و لم يفهمه الآخرون، فالسماع خاص بكل سامع يسمع المرء من حيث سمع ... يحكي الإمام بن رشيد السبتي في ملئ العيبة عن شيخه أبي عبد الله السلاوي أنهم حضروا هو و شيخه و تلاميذته بيت المقدس سماعا كان يتغنى فيه فقراء أعاجم أي من العجم يذكرون الله بلغة العجم ، قال أبو عبد الله السلاوي، فكان الشيخ يتواجد لسماع كلامهم و لا ينفهم لنا ولا لهم منه شيء ، قال فجال في خاطري، فيتواجب الشيخ معهم مع أنه لا ينفهم من قولهم شيء ، قال فوالله ما أتمت ذلك الخاطر حتى قال لي : السماع تشربه الأرواح بكؤوس الأذان على أغاني الألحان يسمع المرء من حيث سمع ، لا يتوقف على عربي و لا عجمي ،قد علم كل أناس مشربهم و ماء زمزم لما شرب له و هذا و ما سمع له "[1] .

2-1 نشأة السماع

و قد عرف السماع بمعناه العام عند الفرس و العرب قبل الإسلام ،" و في صدر الإسلام برز هذا اللفظ ، و أن تغير مفهومه فأصبح يعني سماع القران الكريم و أغاني الحجيج والأشعار التي تحث على الجهاد و الغزو ، غير أن هذا المفهوم لم يلبث أن تطور بعد أن راج الغناء و انتشر بين المسلمين في العصريين الأموي و العباسي و أصبح السماع يعني الغناء ، و قد دخل بهذا المفهوم الجديد التصوف الإسلامي في وقت مبكر من تاريخه و كثرت في أقوال شيوخ الصوفية"[2].

و قد حظي موضوع السماع منذ بداية المؤلفات الصوفية في" القرن الرابع هجري باهتمام علماء الصوفية و أصحاب الكتب الصوفية العربية و الفارسية و بلغ من عنايتهم به أن افردوا له في مؤلفاتهم فصولا و أبوابا جمعوا فيها أقوال شيوخ الصوفية في السماع"[3] .

و نشير بالذكر إلى حلقات السماع التي قد ظهرت بالمغرب الأوسط منذ القرن 7 هـ / 13 م و اختص بها خواص الصوفية مثل حلقة السماع التي كان يجتمع فيها أبو عبد الله محمد بن

---

* الدكتور أحمد الخليع باحث و صوفي مغربي و صاحب فرقة صوفية ينتمي إلي الزاوية الصديقية الدرقاوية الشادلية درس التصوف و حصل على درجة الدكتوراه فيه من السوربون و صاحب برنامج إذاعي شهير هو السماع الصوفي الذي يبث منذ أكثر من 23 سنة.

1اسرار السماع ،حصة تلفزيونية أسبوعية لقناة AWACER .tvالمغربية –الحلقة 03 من تقديم الدكتور احمد الخليع.

2 WWW.BOOKS4ALL.NETالدكتورة اسعاد عيد الهادي قنديل ، السماع عند الفرس و العرب ،منتدي سور الازبكة 2004م ، ص 08

3 نفس المصدر السابق، ص 10/09.

مرزوق 681 هـ / 1282 م بداره بتلمسان مع خواص أصحابه من الأولياء"[1] ثم ما لبثت أن اتخذت طابعا تنظيميا رسميا ضمن بعض الطرق الصوفية التي جعلته من مستلزمات حلقات الذكر.و يختلف أهل السمع في استجابتهم للترتيل و السماع الذي يسمعونه بحسب حالتهم فمنهم من يغلب عليه الخوف و الحزن و الشوق و يكون تأثير القران فيه أشد من تأثير النشيد و الغناء، و منهم من يغلب عليه الرجاء و الفرح و السعادة في نفس الوقت .

و يعرفه الطوسي في اللمع يقول :"السماع موهبة روحية معناها قدرة الشخص على سماع أصوات لا يسمعها الناس الآخرون بحاسة السمع العادية"[2] .

يقول السهروردي 632 هـ / 1235 م في تأثير السماع :" السماع حق تارة يثير حزنا ، و الحزن حار ، و تارة يثير شوقا و الشوق حار ، و تارة يثير ندما و الندم حار ، فإذا أثار السماع هذه اللواعج عند صاحب قلب مملوء ببرد اليقين ، فانه يكون قد أبكى و أدمع القلوب و العيون"[3] .

و بمناسبة ارتباط السماع بالشعر و التغني به ، فانه لم يرد في النصين الشريفين {القران و السنة } ما يفيد المنع المطلق ، حيث استثنى الحق سبحانه و تعالى من الشعراء : "الذين امنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيرا"[4] ، و قال صلى الله عليه و سلم" إن من الشعر لحكمة"[5] .

1 الطالب الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الاوسط خلال القرنين 8و9 ه- 14و 15 م-أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط القسم 2، 2009/2008 ، جامعة الجزائر ،ص715.

2 الطوسي السراج ،اللمع ، حققه و قدم له و اخرج أحاديثه عبد الحليم محمود و عبد الباقي سرور ،دار الكتب الحديثة بمصر ،مكتبة المثنى بغداد 1960 ،ص342

3 نفس المصدر 01 ، ص 350

4 سورة الشعراء أية 224.

5 الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب عن أبي بن كسب و مسلم في كتاب الجهاد.

و يقول الإمام الغزالي في آداب السماع و الوجد :" الإصغاء و الحضور بالقلب ، و إطراق الرأس و قلة الالتفات، و أن لا يحدث الحاضر حركات تشوش على الإخوان، و أن يتجنب التنحنح و التثاوب"[1] .إذا كانت كتب الصوفية و دواوينهم مليئة بما صنفوه عن شروط السماع و آدابه " أن السماع يحتاج إلى ثلاث أشياء : الزمان و المكان و الإخوان ، فأما الزمان فمراعاة الأوقات المناسبة بحيث لا تزاحم فرضا ولا تعطل واجبا، و قيل هو مراعاة الأحوال فلا سماع بدون داع إذا السماع لا يؤثر في المريد مع حالة الفقد ، و أما المكان فهو اختيار الأماكن المناسبة لمجالس السماع كالزوايا و المساجد و بيوت المحبين و الإخوان و كل مكان طاهر خال من الموانع الشرعية ، و الشرط الثالث : الإخوان أي أهل السماع و محبيه فلا يكون بفقدانهم فمنهم يحلو السماع و يستلذ الإصغاء و لو في القفار أو على شواطئ البحار"[2]

و قد حدد ابن الدراج السبتي شروط السماع في :"

أولا : ضرورة معرفة السامع لأسماء الله و صفاته قصد التميز بين صفات الذات و المخلوقات و الحق سبحانه .

ثانيا : فناء النفس بصدق المجاهدة و إحياء القلب بروح المشاهدة .

ثالثا : أن يكون السامع حاضر بقلبه غائبا بعقله .

رابعا : عدم التكلف عند السماع بأن لا يتخير فيه سمع على القوال ـ المنشد ـ ولا يصحح عليه خطأه في الأقوال .

خامسا : التزامه بآداب السماع كالعقود بالهيبة و الخمود و مراعاة حقوق الأكابر من الشيوخ و إذا حضروا السماع بدوام السكون ،بذلك النصح لمن وقع في الغلط و التسليم بما وقع من حال"[3] .

يقول الإمام أبو القاسم القشيري* في رسالته المشهورة : قال الله عزوجل " فبشر عباد الذين

---

1 السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص24

2 نفس المصدر 1 ص 22

3 الطالب الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 ه- 14و 15 م-أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط القسم 2، 2009/2008 ، جامعة الجزائر ،ص714.

* الإمام أبو القاسم القشيري ولد 376 ه و توفي 465ه إمام الصوفية و صاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف و كبار علماء الفقه و التفسير و الحديث و الأصول و الأدب و الشعر الملقب ب زين الإسلام.

يقول يستمعون القول فيتبعون أحسنه" [1].

اللام في قوله القول ـ تقتضي التعميم و الاستغراق و الدليل عليه أنه مدحهم بإتباع الأحسن و أعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة و الأنغام المستلذة ، إذا لم يعتقد المستمع محظورا و يسمع على مذموم في الشرع ، باح في الجملة و لا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنه سمعها و لم ينكر عليهم في إنشادها "[2].

3-1 شروط المسمع :

أ/ حسية : كالطهارة و نظافة الثوب و المكان و حسن الهيئة و طيب الرائحة

و حسن الصوت و حسن الأداء و الأذن الموسيقية ،بأن يكون المسمع على دراية و لو بسيطة بالأوزان و الطبوع و المقامات ، فلا ينتقل من مقام رمل الماية مثلا إلى مقام آخر لا يناسبه، فان ذلك يؤذي الأذان السليمة و مثله الصوت الخشن ، حيث يقول الشيخ العلاوي رضي الله عنه " لن أسمح للفقير يسمع و هو لا يحسن السماع و لا للذي يحسن السماع و لا يسمع.

ب / معنوية : عقد النية على الإخلاص في السماع ، طهارة القلب و سلامته من الحسد و الغل و الكبر.

يقول الشيخ سيدي خالد بن تونس : " على المريد أن يختار من الصيغ و القصائد ما يوافق الحال ، فلا يسمع بحال الجلال في مقام الجمال و لا العكس، و من الآداب أن لا يردد

الحاضر مع المسمع أثناء السماع، بل يلتزم الصمت و يصغي لما يقول فالترديد مع المسمع تشويش ، و بالجملة فعلى المسمع مراعاة كل أدب في الظاهر و الباطن يزيد المجلس رونقا و هيبة"[3] . قد أشار علماء النفس إلى أن السماع و آليته و نقصد بها " الأذن و كيف تتم عملية السماع و ما هي المسارات التي تتبع في عملية السماع فقد أشار العالم النفسي الدكتور عبد الوهاب محمد كامل في كتابه علم النفس الفزيولوجي إلى عملية السماع و علاقتها بالأذن

---

1 سورة الزمر ايتي 18-19.

2 السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص12

3 نفس المصدر 1 ص 24-23

و أن حاسة السمع تلعب دورا هاما في التعلم و يبدأ خط سير السمع من الأذنين ليصل إلى الفصوص الصدغية و على الأخص نتوء هشل الذي يقع في الجزء الوسط العلوي من الفص الصدغي و من الأذن الداخلية تكون الأصوات أنماطا خاصة من الاهتزازات التي تعكس حالة الصوت المسموع و تتحول بدورها إلى نبضات عصبية أو كهر وكيميائية بالعصب السمعي ثم ذكر العامل النفسي"[1]، و بأن "الأذن اليمنى عند غالبية الأفراد تكون أكثر حساسية للمعلومات اللفظية، أما اليسرى قد تكون أكثر حساسية للأصوات غير اللفظية مثل الألحان و الأصوات الاجتماعية، و أما عن علاقة السمع مع الصوت فان السمع له علاقة وطيدة مع السمع لأنه لا يمكن سماع الأشياء التي لا صوت لها كالإسفنج مثلا"[2].

4-1 السماع و كيفية الشروع فيه

السماع يكون بإشارة من الشيخ، و تكون بالعين أو باليد لا بالكلام كما لا يجوز إعطاء الإشارة برمي الديوان إلى المسمع و لا يجوز للمسمع أن يشرع من تلقاء نفسه و يجلس المسمع كما في الصلاة " و السماع لا يؤدى إلا من شخص أو اثنين فان كانوا ثلاثة لا باس و لا زائدة على ذلك ،فان كانوا أكثر من ذلك فيتناوبون السماع .وإذا افتتح الشيخ السماع فلا يسمع معه المسمع إلا بإشارته و لا يرفع صوته على صوت الشيخ .

يفتتح السماع عادة بصيغ الهيللة {لا اله إلا الله } أو ما في هذا المعنى ثم بعد ذلك صيغ التصلية { الصلاة على النبي } .

كل وصلة من السماع تنقسم إلى ثلاثة أوزان ،وزن ثقيل ثم متوسط ثم خفيف ينشد خلالها المسمعون القصائد بينما الحاضرون الردة { اللازمة } .

إذا افتتح المسمع السماع على مقام ما، فلا يتحول إلى مقام آخر لا يناسبه فان ذلك يؤذي السماع و يكسره، و قد يكون سبب في برودة الجمع و لذلك يجب على المسمع أن يربي

سمعه على الفرق بين المقام و آخر ،فهو مطالب بمعرفة المقامات الموسيقية و تعلمها، كما يعرف بالبصر الألوان يجب أن يعرف الفرق بين المقامات بالسمع"[3].

---

1 عبد الوهاب محمد كامل ،علم النفس الفسيولوجي ،مصر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة 2 ،1414ه/1994م ،ص 128-129.

2 بن ساحة عبد الله، أطروحة دكتوراه السماع الصوفي في الجزائر جمع و دراسة، قسم اللغة التاريخ- السنة الجامعية 2015/2014م، ص 6

3 السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص32/31.

و يتميز سماع الأفراح بصيغ التصلية على النبي و قصائد مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لا بد "أن يتوفر المسمع على نصيب من الفطانة و الشعور ، فإذا أحس مثلا أن الصيغة التي بدأ بها لا تناسب الحال العام للجمع، يبدل فورا لتسخين الجمع يجب على المسمع أن يتجنب الصوت الحاد و المرتفع جدا لأنه متعب للسماع و مذهب لحلاوة الصوت، و مشوش على روحانية المريد و يتعب الحاضرين فلا يستطيعون ترديد الصيغ "[1].

لا يجوز المبالغة في الاستخبارات ، فالسماع هو عبارة عن ذكر الله و ليس موشحات غنائية للترفيه و لذلك يجب أن يكون مصحوبا بكل أدب ووقار.

2- السماع بين الصوفية و الفقهاء في الجزائر

إن التصوف و الطرق الصوفية هي ظاهرة دينية في المجتمع الإسلامي ظهرت مند وقت مبكر بالجزائر دلك أن أفكار محي الدين ابن عربي قد انتشرت فيها قبل العهد العثماني بزمن طويل.

كما أن "حسن ابن باديس قد تحدث عن عبد القادر الجيلاني و طريقته في القرن الثامن هجري و من جهة أخرى تحدث محمد الزواوي الفراونسي صاحب المرائي الصوفية عن الطريقة القادرية في القرن التاسع هجري و قد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة سيدي عبد الرحمان الثعالبي و محمد بن يوسف السنوسي و احمد مرزوق و غيرهم ...

و لم يكن الانتماء إلى طريقة من الطرق الصوفية يعد نقصا أو عيبا بل إن أخد الطريقة كان شيئا يعلن عن وشاع بين الناس و يمارسه العلماء و التجار و الجنود فضلا عن العامة .

و من بين الفقهاء الجزائريين الدين مالوا إلى التشدد في الحديث عن السماع أو الموسيقى احمد الونشريسي في كتابه المعيار حيث روى من جهة أن احد العلماء سئل في حكم الغناء فأجاب بان سماع الإنشاد يحرك المشاعر السامية "[2].

كان الصوفية يحبون الغناء السماع و الموسيقى حيث اعتبروه من العلوم التي تجمع بين المعاملة و المكاشفة.

---

1 السماع الصوفي ،تربية، آداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية ص32

2 موقع الكتروني www.sama3y.org

3- مستغانم عاصمة السماع الصوفي

مستغانم هي مدينة ساحلية جزائرية تطل على البحر الأبيض المتوسط ،تقع في الغرب الجزائري ، بلغ عدد سكانها أكثر من 140 ألف نسمة ، و هي مرفأ في الجزائر على خليج ارزيو ، تزخر المدينة بميناء صيد"[1] و هي مدينة ضربت بجذورها في أعماق التاريخ، كانت كأغلب المدن المسلمة، تحت حماية ولي يدعى سيدي السعيد و يوجد هناك مقام سيدي عبد القادر الجيلاني و هو ولي معروف عالميا .

كما انتشرت الزوايا بها مند القرن الثالث عشر، و أصبح الأولياء و الوليات بأعداد لا تحصر،الزاوية الثانية هي الزاوية السنوسية و قد كانت قطبا مهما في القرن التاسع عشر بفضل الشيخ ابن الطحوك ، وفي تيجديت تقع الزاوية العيساوية و هي أقدم الزوايا في المدينة بلا شك ، هذه المدينة الملقبة بمدينة " الأربعين شاشية" محاطة بأضرحة أولياء كأنها تسهر على راحتها و حمايتها من كل مكروه "[2].

بفضل الزوايا التي لعبت أدوارا بارزة و حققت نتائج جد ايجابية في التعليم القرآني ، و نشر الثقافة الإسلامية و من ابرز و أشهر هذه الزوايا في مدينة مستغانم : الزاوية السليمانية ، الزاوية اليوزيدية و الزاوية العلاوية.

كما تشتهر مستغانم بجمع من العلماء و الصالحين الذين ولدوا بها و عاشوا بأرضها أو كانت مقر لأضرحتهم ، "و الحديث عن الأولياء الصالحين لا نستطيع حصره و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فمنهم بن شاعة الزوالي تلميذ سيدي احمد بن يوسف الراشدي ثم المليانى ، و الشيخ بلقاسم بوعسرية المدعو بن صابر و هو دفين بلدة مزغران ، و الشاعر الأكحل بن خلوف شاعر الحضرة النبوية المغراوي و المؤرخ لمعركة مزغران ضد الأسبان ، و سيدي عبد الله بن خطاب دفين المطمر ... و غيرهم "[3].

و لا يمكن أن نتكلم عن مستغانم و عن أولياءها الصالحين و لا نذكر الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي و تلميذه القطب الشيخ احمد بن مصطفى العلاوي بن عليوة مؤسس الطريقة العلاوية بهده المدينة العريقة المدفون بضريح الزاوية الأم بحي تيجديت.

---

1 مقال في موسوعة التاريخ الجزائري عن مدينة مستغانم على منصة الفايسبوك.

2 الاستاذ حبيب بن يعقوب ،كتاب غنائم مسك الغنائم لجمعية الفن و النشاط، انجاز 2007 ، ص 58

3 نفس المصدر 01.

مدينة مسك الغنائم بحكم أنها مدينة الطرق الصوفية و الزوايا فهي" زاخرة بالمسمعين القدامى و الذين هم في مستقر رحمة الله تعالى و عدد منهم لا يستهان به ممن يستمرون في أداء هذه المهمة النبيلة الشريفة و السماع ليس بالعملية الهينة السهلة بل يحتاج إلى صبر و رزانة و إلمام بالقصائد قراءة و حفظا و دراية بالصيغ المناسبة لهذه القصائد، فتحية إجلال و إبكار لكل المسمعين الذين يحق لهم أن يفتخروا أو يفرحوا بمدحهم للمصطفى عليه الصلاة و السلام و إشادتهم بالصالحين رضي الله عنهم"[1] .

تزخر المدينة بعدة جمعيات موسيقية أندلسية معروفة وطنيا و دوليا أقدمها جمعية "نادي الهلال الثقافي" بالإضافة إلى جمعية " الفن و النشاط " و جمعية " ابن باجة" و غيرهم .

و كل هده الجمعيات تحتضن السماع الصوفي مع المديح النبوي مستخدمة الكثير من الآلات الموسيقية، و كذلك بعض الزوايا لها جمعيات أندلسية خاصة بها تؤدي السماع الصوفي في طابع أندلسي أصيل مثل جمعية " الأمل " لجمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية.

و يعبر السماع الصوفي في المدينة على ترتيل الأشعار الدينية الصوفية، قصائد كانت أم توشيحات وفق الطبوع الأندلسية بغية تحقيق غايات روحية، و تعتبر الزاوية الصوفية في مدينة مستغانم مركز هام لمريدي الطريقة للحفاظ على الموروث الثقافي و التي تزخر به هذه الطرق الصوفية في المدينة التي أصبحت تشارك في العديد من الحفلات الدينية الوطنية و العالمية و ما زالت هذه الزوايا و لحد ألان تعتني بالموسيقى الروحية و هناك بعض الطرق تستعمل الآلات الموسيقية كالطريقة العيساوية مثلا ، و البعض الأخر لا تستعمل الآلات الموسيقية كالزاوية العلاوية.

4- الآلات الموسيقية المستعملة في مدينة مستغانم

من أهم الآلات الموسيقية المستعملة في الطرق الصوفية هي

البندير هي عبارة عن آلة موسيقية دائري الشكل و يستعمله رجال الطرق الصوفية و يسمى الدف الكبيير .

1 الأستاذ حبيب بن يعقوب ،كتاب غنائم مسك الغنائم لجمعية الفن و النشاط، انجاز 2007 ، ص95

الدكتور سليم الحلو، الموسيقى النظرية ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2 ،1972، ص163

الدف هو آلة موسيقية لها شكل مستدير مصنوعة بالجلد، و لكن لا تحتوي على أقراص نحاسية بجانبها، و تحدث صوتا مثل الطبل، و عليه يوقعون موازيين الزمنيين الدم و التك، الدم للدلالة على الضغط القوي و التك للدلالة على الضغط الضعيف ، و الدم يكون باليد اليمنى و التك باليد اليسرى ،و يختلف مقدار الزمن فيما بين كل من الدم و التك و القصر و الطول حسب نظام كل وزن"[1].

الغايطة هي آلة نفخية تتكون من أنبوب اسطواني الشكل يبلغ طوله من 30سم إلى 40 سم من خشب ناعم من شجر المشمش أو الجوز أو الخوخ تخترقه سبعة ثقوب، ستة منها في القسم الأعلى على مسافات متساوية و ثقب واحد في الأسفل ،ينتهي طرفها السفلي بشكل مخروطي يبلغ قطره حوالي 10سم ، يحتوي الجزء الأعلى على حلقة صغيرة من عظم أو عاج أو معدن ترتكز عليه الشفتان ،و تستعمل من طرف الرجال فقط "[2].

الطبل و منه الكبير و الصغير و للأوسط آلة موسيقية مكسورة بالجلد من الجانبين، فتكن مستعملها من أن يضرب عليها من الطرفيين فتحدث صوتا من الجانبيين، فتكن مستعملها من أن يضرب عليها من الطرفيين فتحدث صوتا من الجانبين ، ليس فيها أقراص نحاسية .

الدف الصغير هو الذي يغلق على إطاره أي على دائرته صنوج مستديرة من النحاس الأصفر تنقسم بحسب إيقاعها إلى قسمين "الدم" و هو ما يضرب على الرق اي الجلد المشدود على الدائرة ، و "التك" و هو ما يضرب على الصنوج المتخد من النحاس"[3].

5- الطرب و الموسيقى في زوايا مستغانم

كان للصوفية في مدينة مستغانم دور هام في الحفاظ على السماع في مجالس الصوفية و الإنشاد الديني،و خصصت له فضاء واسع لممارسة فنون الذكر و المديح النبوي الشريف، فيجتمع المريدون في الزوايا أثناء حلقات الذكر أو في البيوت، في زي موحد الشكل خاصة اللون الأبيض فبلبس الموريدون الأقمصة البيضاء ، بالإضافة إلى المقدم الذي يضع فوق رأسه عمامة توحي بالهيبة و الوقار،فيتلددون إلى استماع السماع الذي يتنوع بمختلف الطبوع الموسيقى الأندلسية الجزائرية بالإضافة إلى المقامات الشرقية، بالإضافة إلى السماع البدوي الأصيل الذي له نغمة خاصة به، و من أهم الطبوع أو المقامات التي تؤدى بها السماع في الزوايا بمدينة مستغانم.

1 الدكتور سليم الحلو، الموسيقى النظرية ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2 ،1972، ص 135

2 موقع الكتروني ar.m.wilkipedia.org

3 بن ساحة عبد الله، أطروحة دكتوراه السماع الصوفي في الجزائر جمع و دراسة،قسم اللغة التاريخ- السنة الجامعية 2015/2014م،ص212

6- مقامات و طبوع السماع الصوفي

يستعمل المسمعين الصوفيين العديد من طبوع الموسيقى الجزائرية النابذة من الموسيقى الأندلسية {طبع الجهاركاه ، طبع الزيدان ، طبع رمل الماية ...} و كذا استنبط من مقامات الموسيقى العربية { مقام الحجاز ، مقام السيكاه ، مقام الرست ..} و نذكر في التعريف منها:

6-1 طبع أو مقام الرمل ماية

و هو الطبع الذي يتناسب مع البياتي في الجزائر، زعم بعض أهل الغناء أن المستخرج هو رجل يدعى ماية، و سلم هدا المقام على "ري"، و نغمة الرمل ماية تعبر عن العظمة و الجلال و العزة ، و لهدا فكر احد العلماء من رجال القرن 12 عشر للهجرة و هو أبو العباس احمد بن محمد عبد القادر الفاسي أن يخصص أشعار هده النوبة في مدح الرسول و على اله و صحبه ،فتتردد التسبيحات و التهليلات و الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم و الدعاء و الاستغفار و طلب الرحمة و الغفران من الله تعالى ، و مقام الرمل ماية يشمل أيضا على طبع الحسين ميزان بسيط و طبع حمدان ميزان بسيط أيضا، و من بين الشعراء القدامى الدين نظموا على طبع رمل ماية نجد أبو الحسن الششتري "ت 668 ه "، و الشيخ احمد الرفاعي "ت 1256 ه " ، الإمام البوصيري "ت 695 ه" و عمر ابن الفارض "ت 636 ه ".

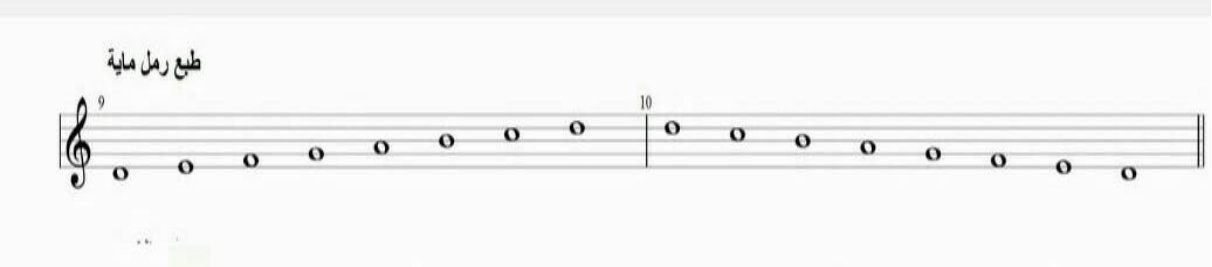

6-2 مقام الحجاز

هو طبع مغاربي و مشرقي جد مؤثر على النفوس و نغمته مفرحة و منعشة للذات ، لما يوجد فيه من أنغام و تراكيب رقيقة سلمه على "ري" في الموسيقى الأندلسية ،كما انه يستعمل على عدة نوتات في الموسيقات الأخرى ك"دو" "صول" "لا".

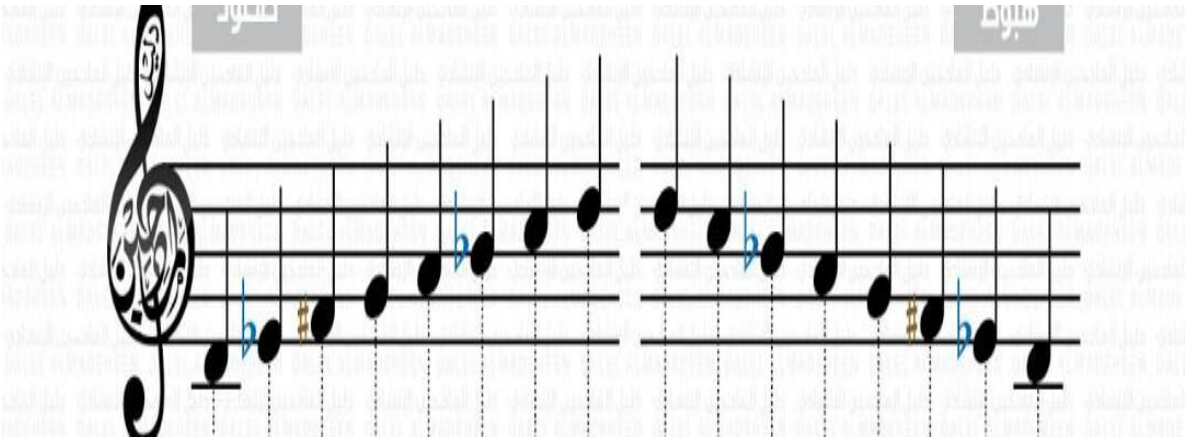

7- إيقاعات السماع الصوفي

تتميز التآلف في السماع الصوفي ب 3 إيقاعات

إيقاع خفيف.

إيقاع ثقيل .

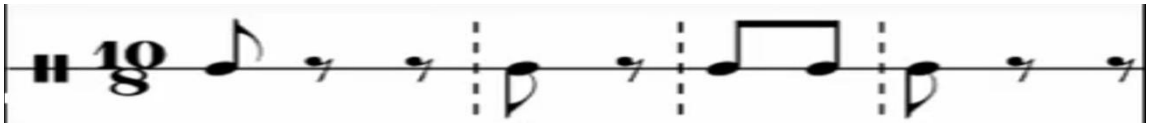

إيقاع معتدل.

و يعتمد السماع على الأوزان البسيطة مثل 2/4 و 4/4 مع عدم تغيير الوزن و لإيقاع عند بداية الأغنية ،بالإضافة إلى الإيقاعات المركبة مثل 6/8 .
و تتميز إيقاعات السماع بالبساطة و التعقيد في نفس الوقت، و تكون في اغلب الأحيان بدايتها ثقيلة تم تعتدل نوعا ما وتمر إلى الخفة على حسب الحال ، إلا في حالات قلية كالحضرة مثلا أو ما يسمى بالعمارة .

الفصل الثاني: دراسة تحليلية لقصائد السماع الصوفي

المبحث الأول :نبذة تاريخية عن المسمع سي لحسن بلخير

المبحث الثاني :التحليل الموسيقي لقصائد السماع

تمهيد:

يعد التراث الشعبي اللامادي الذاكرة التاريخية للشعوب مما اقتضى على المجتمع حمايته و كتابته ،و قد وجد الطالب نفسه أمام واقع تدوينه للاغاني التراثية المحفوظة في ذاكرة الشيوخ و أبناء الزوايا و تعتبر هذه العملية عملية الانتقال من الموروث الشفوي إلى الموروث الكتابي ، و تكمن أهميتها في مواجهة آثار الحداثة و العولمة على الأرصدة الموسيقية الهزيلة

حبذا لو اجتمع علماء و شيوخ صوفيون للقيام بهذا العمل من اجل الارتفاع بهذا النوع الموسيقي إلى مراتب عالمية عالية و تجنب التحريف الجاحد لملامح الموسيقى الحقيقية

اعتمدنا في بحثنا هذا و بالأخص الجانب التطبيقي إلى كبار الشيوخ و المجموعات الموسيقية التابعة للزاوية العلاوية بمستغانم

لقد قمنا في هذا الفصل بانتقاء من أجمل القصائد الدينية الصوفية التي تؤدى في عدة مناسبات و في مناطق مختلفة من الجزائر و بالأخص منطقة مستغانم و هي تحت عنوان "تشفع يا رسول الله " ، و عند الاستماع لها عن طريق مقطع فيديو للشيخ بلخير و لعدة مسمعين آخرين قمنا بالتعامل معها على أنها وحدة كاملة فدرسنا خصائصها .

تطرقنا إلى التحليل الموسيقي لهذه المقطوعة و قمنا بدراسة النمط الموسيقى بعدها اللحني و المقام المستخدم في بناء لحنها .

كما اخترنا القصيدة الثانية بعنوان "ماراحاتي " فقمنا بتحليل مقوماتها و إتباع الخطة السابقة في تحليل أغنية تشفعنا .

المبحث الأول : نبذة تاريخية عن المسمع سي لحسن بلخير

المسمع سي لحسن بلخير

ولد 23 ابريل 1923 بجعفرة ولاية برج بوعريريج من أم تدعى زوينة وأب يدعى سي السعيد تربى وترعرع في نفس المنطقة حتى بلغ عمر ست سنوات استقر مع عائلته في منطقه غليزان تقربا إلى منطقه الغرب لأن والده كان من أتباع الطريقه العلاوية بمدينة مستغانم.

في سنه 1933 التقى ولأول مره مع الشيخ العلاوي مؤسس الطريقه العلاوية في مدينه مستغانم وهذا بمنطقه زقير بولايه غليزان، التقى الشيخ العلاوي مرتين قبل أن توافيه المنية في 1934 .

1955 استقر الشيخ سي لحسن في مدينه مستغانم مع عائلته الصغيرة وهو آب ل 11 طفل وكان من أتباع الشيخ الحاج عدة بن تونس (خلف الشيخ العلاوي رحمه الله) ، كان سي لحسن يؤذن ويؤدي الهيلالة في الزاوية الأم بتجديت ويؤدي قصائد السماع أثناء الجمع لكنه أصبح مؤذن بصفه رسمية للزاوية سنه 1965 م.

وعرف كثيرا ببساطته وتواضعه وكرمه وصوته العذب الحنون لهذا لقب بالصوت الملائكي في كل أرجاء الولاية وخارج الولاية أيضا عرف بتمكنه من أداء السماع في جميع المقامات والطبوع ومن أهم القصائد التي كان يؤديها

- محمد اصطفاك الباري

- صلي ربي على المفضل

- الذكر أسباب كل الخير

- وغيرهم

وافته المنية في 15 جوان 2013 دفن بمقبره العرصه في ضريح سيدي علال اقصوري بمدينه مستغانم تاركا وراءه تاريخا حافلا بالأعمال في مجال السماع الصوفي لأنه كان موسوعه من موسوعات التاريخ المستغانمي

المبحث الثاني : التحليل الموسيقي لقصائد السماع

1- عينة البحث :

أغنيتان من الأغاني الصوفية التابعة للزاوية العلاوية بمستغانم و تغنى أكابيلا دون الحاجة إلى المصاحبة الآلية

2- مجتمع البحث :

مجتمع البحث في دراستنا تمركز على أغنيتان للمناسبات الدينية التي تعتمد على الصوت البشري و هي مقطوعة تؤدى في مدينة مستغانم لكن اخترنا زاوية تجديت بالتحديد من اجل إعادة سماعها و تجربة تأديتها مع مختصين في الغناء الصوفي .

3- المنهج المتبع :

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج "الوصفي التحليلي "

حيث يقوم هذا المنهج على تصوير الوضع الراهن لظاهرة معينة و تحديد العلاقات بينها و بين ظواهر خاصة

و البحوث الوصفية تعتمد على وصف ظواهر وأحداث أو أشياء معينة و جمع الحقائق و المعلومات و الملاحظات عنها ووصف الظروف الخاصة بها ،و تقرير حالتها كما وجدت في الواقع

4- أدوات البحث:

- برنامج سيبيلوس على جهاز كمبيوتر محمول .

- استعمال آلة بيانو كلاسيك .

- طلب الإرشاد من عدة مسمعين صوفيين تابعين للزاوية العلاوية .

- وضع الموضوع على طاولة عائلة بلخير من اجل الابتعاد عن الخطأ أثناء التدوين.

- استعمال برنامج قيتار برو 6 .

5- الدراسة التحليلية لقصيدة تشفع يا رسول الله فينا

معيار تحليل القصيدة

5-1 نمط الأغنية

5-2 - كلمات الأغنية

5-3- عنوان الأغنية

5-4- اسم مؤديها

5-5- صولفيج الأغنية

5-6- البناء الموسيقي

5-6-1- ميزان الأغنية

5-6-2- الإيقاع

5-6-3- سرعة الإيقاع

5-6-4- المدى اللحني

5-6-5- مقام الأغنية

5-6-6- أسلوب الأغنية

5-6-7- الأبعاد الصوتية

5-6-8- الأشكال الإيقاعية اللحنية

5-7- استخلاص

5-1 - نمط الأغنية:

تعتبر هذه الأغنية من بين قصائد السماع الصوفي التي تعتمد على الصوت البشري فقط،كلماتها للشيخ العلاوي و هي من القصائد الروحية التي يتقرب بها الصوفيين إلى الله بمدحهم لرسوله ،حيث تعتبر رمزا من رموز الثقافة لأولاد منطقة مدينة مستغانم ، و قد أدلى الشيخ بلخير بدلوه في تجربته إلى إحياء الأوصاف الحسية عن طريق هذه الأغنية الخفيفة و سهلة الأداء ذات اللحن البسيط .

وهي من آيات التعبير بالموسيقى عن الشعور الروحي الديني التي يصف فيها طلب الشفاعة من رسول الله ،و أعجب من التعبير عن الشعور توصيل الشعور إلى السامع كأنه يسمع و يرى و يحس في نفس الوقت حيث يغوص المسمع إلى أعماق نفس المستمع ليؤثر على حالته ،و هنا يكمن سر إعجاب الناس بهذا النوع الموسيقي .

5-2- كلمات الأغنية

تشفع يا رسول الله فينا فلا نرجو الشفاعة من سواك

نصحتك إن كانت لك نسبة أهل الذكر في محبوبيهم غابوا

5-3- عنوان الأغنية:
تشفع يا رسول الله فينا

5-4 - اسم مؤديها: الشيخ سي لحسن بلخير

5-5- صولفيج الأغنية:

5-6 - البناء الموسيقي

5-6-1- ميزان الأغنية : 4/2

5-6-2- الإيقاع

بالنسبة للإيقاع،اعتمدت الأغنية على الإيقاع الحر فقد قام الشيخ بتأديتها أكابيلا دون الحاجة إلى الالتزام بإيقاع

5-6-3- سرعة الإيقاع: 80

5-6-4- المدى اللحني:

اللحن من مفهومه العام : يتكون اللحن من نغمات مختلفة الارتفاع تتوالى لتكون سلسة مترابطة لها بداية و لها نهاية و تنحصر ما بين أعلي صوت فيها و اخفض صوت فيها .

تقارب بين النوتات مع قصر في الجمل الموسيقية ،فتبعا للبعد الناشئ بين اخفض علامة و أعلاها من خلال الهيكل اللحني للأغنية يتمحور اللحن على مجال نغمي يمتد في مجمله من العلامة فا3 إلى العلامة أعلاه دو4

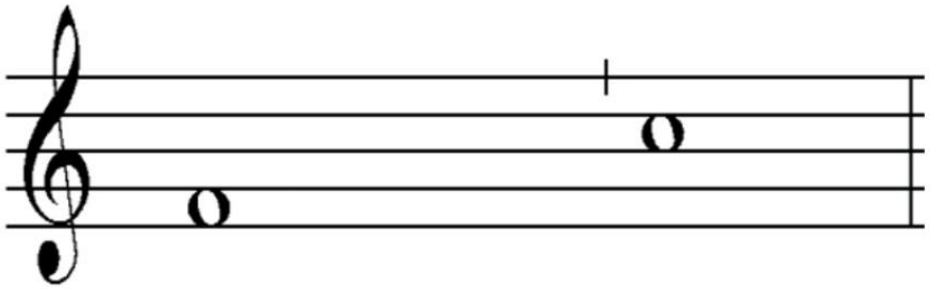

كما تحتوي المقطوعة على الأشكال الموسيقية التالية :

ـ البيضاء، السوداء ، ذات السن ، علامات السكوت

5-6-5- مقام الأغنية :

بما أن أبعاد الأغنية تتوافق معظمها مع أبعاد طبع الزيدان أمكن لنا القول بان هذه الأغنية تغنى على طبع الزيدان على الصول

- تدوين طبع الزيدان على درجة الارتكاز صول

الطبع الأصلي :

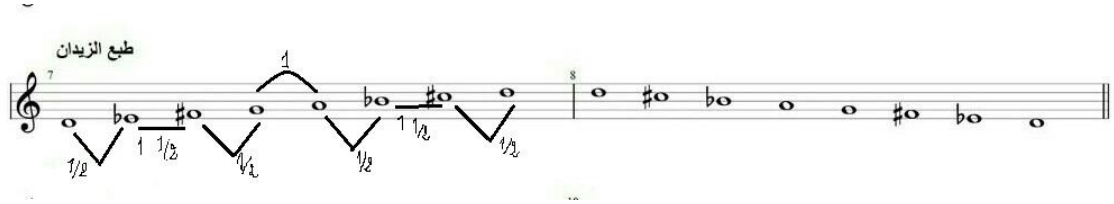

يعتبر طبع الزيدان من المقامات الجزائرية الأندلسية يبدأ ب ري القرار و ينتهي ب ري الجواب

و في أغنية تشفع يا رسول الله فينا قام المسمع بلخير بتأديتها بهوا الزيدان لكن على درجة ارتكاز أعلي برابعة و هذا ليكون الصوت عالي و مناسب لكل الفئات العمرية و كذا الجنس مع إلزامية المحافظة على الأبعاد الأساسية في المقام الأساسي للزيدان

و طبع الزيدان على الصول يقابله في الموسيقى العربية مقام شت عربان درجة ارتكازه الصول و هو من فصيلة مقام حجاز كار مقامه الأصلي حجاز الذي يعتبر من المقامات الشرقية الأساسية

تدوين مقام الحجاز :

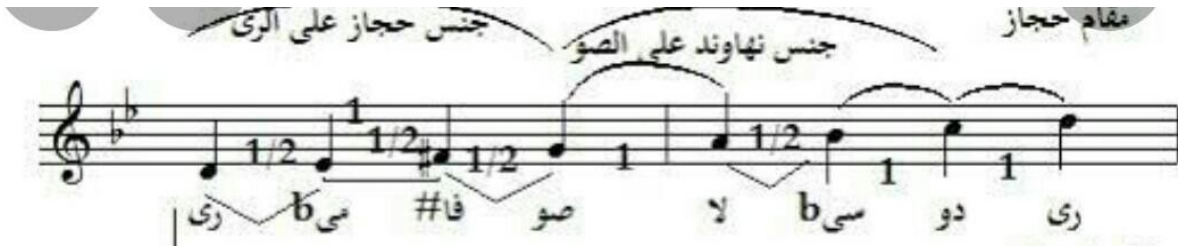

5-6-6- أسلوب الأغنية :

نلاحظ بعد الاستماع إلى هذه الموسيقى سواءا من أداء المسمع بلخير أو مسمعين آخرين التزامها في معظمها بالمقام الأساسي و تجنب التغيرات الحادة في الانتقالات المقامية و الإيقاعية

5-6-7- الأبعاد الصوتية :

- ثنائية

- ثلاثية

- رباعية

5-6-8- الأشكال الإيقاعية اللحنية :

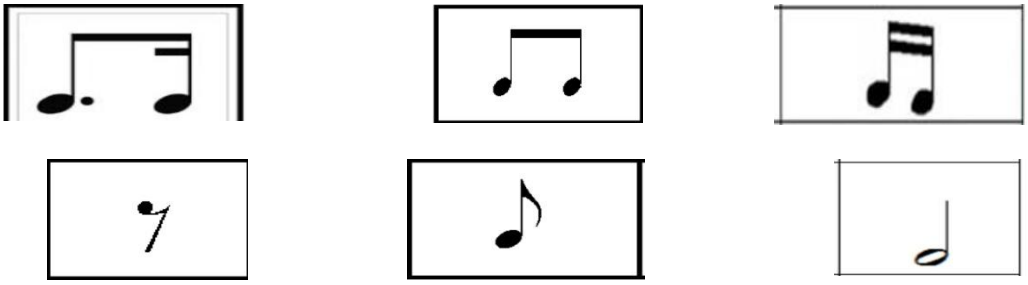

5-7- استخلاص :

قصيدة تشفع يا رسول الله فينا قصيدة ذات طابع ديني تعتمد في تأديتها على الصوت البشري فقط دون الحاجة إلى مصاحبة آلية ، فقد قام الشيخ سي لحسن بلخير بغنائها على طبع الزيدان درجة الارتكاز صول و أما الإيقاع كان إيقاع حر .

6- الدراسة التحليلية لقصيدة ما راحاتي :

6-1- نمط الأغنية:

أغنية ما راحاتي عبارة عن قصيدة من قصائد السماع الصوفي لابن الفارض التي تعتمد في أدائها على الصوت البشري و تقديمها من طرف كورال يرددون من بعد المريد و هي عبارة عن أغنية ذات طابع ديني و روحاني و تمتاز بسهولة الأداء و بساطة اللحن

6-2- كلمات الأغنية

ما راحاتي الله ما راحتي

الله يا الله

إلا لقاء الأحباب

هم سادتي الله هم سادتي

الله يا الله

الواقفون بالباب الواقفين بالباب

أحبتي الله أحبتي

الله يا الله

عيشي بهم قد طاب عيشي بهم قد طاب

أهل الهوى الله أهل الهوى الله

الله يا الله

ما تعذروا حالي ما تعذروا

6-3- عنوان القصيدة:

ما راحاتي

6-4- اسم مؤديها :

قام بتأديتها الشيخ العلاوي ،و قام الشيخ سي لحسن بتكرارها و كذا عدة مسمعين

5-6- صولفيج الأغنية

6-6- البناء الموسيقي :

6-6-1- ميزان الأغنية :

الميزان المستعمل في هذه القصيدة:الإيقاع الثنائي 4/2

6-6-2- سرعة الإيقاع: 120

6-6-3- الإيقاع:

الإيقاع عبارة عن تقسيم الأزمنة تقسيما منتظما ذا مدلول يختلف من حيث الطول و القصر اختلافا نسبيا ، و من ثم تحديد حركة الألحان من حيث السرعة و البطء ،كما و يشمل الإيقاع على أزمنة النغمات و سرعة أدائها و مواقع النبر فيها .

كما نلاحظ عدم وجود مصاحبة آلية أو أي نوع من الاداءات التي تحدد الإيقاع و نوعه ألا أن الأغنية لها شكل إيقاعي واضح على الشكل العام لتقسيم الشعر و اللحن حيث لكل جملة موسيقية محلها الإيقاعي تحت إيقاع الملفوف .

تدوين إيقاع الملفوف:

6-6-4- المدى اللحني

يمتد اللحن في مجمله من العلامة {سي 2 }الى {دو 4} حيث نلاحظ أن الجمل الموسيقية قصيرة ووجود تقارب بين النوتات

6-6-5- الطبع:

عند الاستماع للأغنية يظهر لنا أن الأغنية تغنى على طبع الجهاركا على الفا دياز

تدوين الطبع:

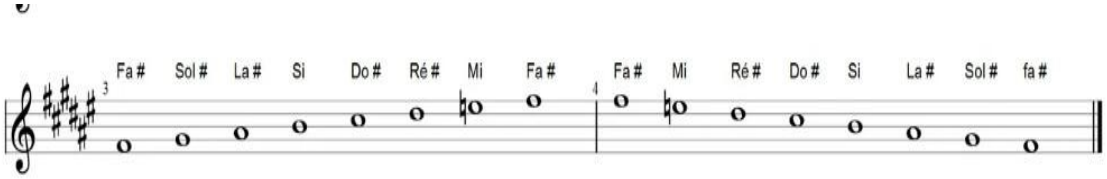

6-6-6- الشكل الموسيقي:

من المازورة 1-26 :يقوم المسمع بالغناء الفردي في البداية ثم يدخل مسمع ثاني أثناء القيام بتأدية هذا المطلع

من المازورة26 إلى 52 : يقوم الكورال بالترديد مع مصاحبة المسمع

من المازورة 52الى 76 : يقوم المسمع بالتأدية الفردية و عند الإعادة يرجع المرددين الى الغناء بمصاحبة المسمع

6-6-7- الأبعاد الصوتية:

- ثنائية
- ثلاثية
- خماسية

6-6-8- الأشكال الإيقاعية اللحنية

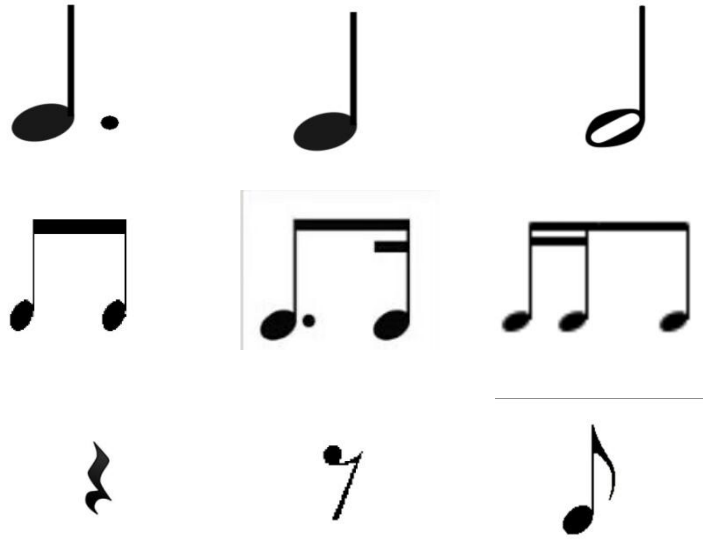

6-7- الاستنتاجات

يعتمد الصوفية في مجالسهم على الترديد لقصائد و أشعار دينية سواءا كانت تعتمد على الصوت البشري فقط أو مصاحبة بالآلات مع المحافظة على خصوصيات كل زاوية في الطريقة التي اتبعتها .

الخاتمة

كما رأينا في بحثنا هذا عن طريق دراستنا العامة للسماع الصوفي و الذي حاولنا من خلاله إبراز جمال ذلك النوع الموسيقي الروحي الواصل لقلب الإنسان فيغير من نظرته للحياة و يزيد من تقربه لله عزوجل من خلال الأشعار و القصائد الدينية التي تذكر رسول الله و جمال ما خلق الله في الدنيا ، و ذكر تفاصيل عن السماع من عدة جوانب التاريخية منها و الاجتماعية و كذا الدينية.

كما انه حاولنا على قدر المستطاع كتابة مذكرة شاملة لخصائص السماع لان السماع الصوفي دراسة أكبر من أن تلخص في مذكرة ، و قد خصصنا مجال حدود بحثنا مدينة مستغانم العتيقة الحافظة لهذا الموروث الثقافي و الديني كما زرنا عدة زوايا من أجل معرفة التفاصيل أكثر عن هذا النوع الموسيقي الهادف و الغني بطبعه ، و منه وسعنا تقسيم بحثنا إلى قسمين ، فصل نظري : الذي تناولنا فيه الجانب التاريخي للصوفية و أهم المفاهيم للسماع الصوفي و مختلف خصائصه التي شملت الإيقاعات و الآلات ، طريقة أدائه و أماكن تواجده بتخصيص الذكر الزاوية العلاوية و أهم مسمعيها ، أما القسم الثاني و هو الفصل التطبيقي الذي تطرقنا فيه إلى اختيار قصيدتين و القيام بتدوينهما و دراستهما دراسة تحليلية لمعرفة الطبوع و المقامات التي تغنت بها .

و في الأخير لا يسعنا إلا القول بان موضوع السماع الصوفي في مستغانم موضوع قيم و مهم في حياة الإنسان و هو موضوع لا يدركه الجميع إلا من غاص في أعماق البحث فيه و وجد الجانب الخيّر لهذا الموضوع منه الجانب النفسي فهو يعمل على إثارة حس الوجدان عند الإنسان و إحداث الراحة النفسية داخل كل شخص لا إراديا فالسماع له دور في علاج أمراض النفس و الرقي بالنفس الإنسانية إلى مكارم الأخلاق الفاضلة و السعادة و الراحة و الطمأنينة عن طريق الذكر و المدائح الدينية و الاستماع لقصائد الصوفيين في مختلف مناسباتهم و مجالسهم حيث وجب على المريد الالتزام بالآداب قبل و أثناء و بعد مجلس السماع من اجل زرع الأخلاق الحميدة ، لهذا وجب التعمق في دراسته و القيام ببحوث متعددة على هذا النوع الموسيقي الهادف و العريق لضمان عدم زواله بنقله إلى الثقافة المكتوبة ، و نتمنى أن نكون من خلال بحثنا المتواضع هذا قد ساهمنا في الهدف المطلوب و هو المحافظة على هذا الإرث ، و توصيل هذه الغاية لكل من يتطلع على بحثنا .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر

القران الكريم

المصادر بالغة العربية

أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزء 5 ، ط3، تحقيق مصطفى ديب البغا ،دار ابن كثير دمشق 1407ه/ 1987م

أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف ،تحقيق عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، 138ه/1960م

أمين بن احمد بن عبد الله السعدي،الصوفية في حضر موت شانها، أصولها، أثارها عرض و نقد ، ط01 ، دار التوحد للنشر الرياض 2008،

أبو عمر الجاحظ، الحيوان، ج4 ،تحقيق عبد السلام هارون، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3 ،1969

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، كتاب فضائل الصحابة ،ج16

ابن منظور ، لسان العرب، المجلد 3 ، دار صادر بيروت، لبنان

الدكتور سالم عبد الرزاق سليمان المصري، كتاب شعر التصوف في الأندلس، كلية التربية جامعة الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية

الشيخ خالد بن تونس، كتاب التصوف قلب الإسلام ، عربه عن الفرنسية معهد ألف – باريس- باشراف سماحة المؤلف ،دار الجيل،

الشيخ خالد بن تونس، التصوف الإرث المشترك، مئوية الطريقة العلاوية 1909-2009 ،زكي بوزيد للنشر

إحسان الهي ظهير، كتاب التصوف المنشأ و المصادر، الطبعة الأولى 1406ه/1986 م ،الناشر إدارة ترجمان السنة ،.

الدكتور سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها و تطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1 ،1965

الدكتور سليم الحلو، الموسيقى النظرية ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2 ،1972

الدكتور سالم عبد الرزاق سليمان المصري، كتاب شعر التصوف في الاندلس ،كلية التربية بجامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ،.

الطوسي السراج ،اللمع ، حققه و قدم له و اخرج احاديثه عبد الحليم محمود و عبد الباقي سرور ،دار الكتب الحديثة بمصر ،مكتبة المثنى بغداد 1960 ،

عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة، تحقيق حجر عاصي، منشورات دار الكتب الهلال،بيروت1991

المراجع

الاستاذ حبيب بن يعقوب ،كتاب غنائم مسك الغنائم لجمعية الفن و النشاط، انجاز 2007

السماع الصوفي ،تربية، اداب ،و سلوك، الطريقة العلاوية الدرقاوية الشادلية، جمعية الشيخ العلاوي للتربية و الثقافة الصوفية

الطاهر بونابي كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ه /6 و7ه/ 12و13م/، نشاته، تيارته، دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي، أستاذ بجامعة محمد بوضياف- المسيلة- قسم التاريخ- مساهمة في التاريخ الديني و الاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط

صلاح مؤيد العقبي، كتاب الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر، تاريخها و نشاطها ، دار البرق بيروت ،مكتبة الشرق ،حقوق الطبع 2002 ،

علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، ج1 ، تحقيق ابراهيم الاعيادي ، الطبعة الأولي ،دار الكتاب العربي بيروت 1405 ،

عبد المنعم القاسمي الحسيني ، كتاب أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى غاية الحرب العالمية الاولى،دار الخليل القاسمي،الطبعة 1427

علي اسعد احمد ،فن المنتخب المعاني و عرفانه، دار الرائد العربي ، بيروت، الطبعة 2

عبد الوهاب محمد كامل ،علم النفس الفيسيولوجي ،مصر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة 2 ،1414ه/1994م

محمد بن شقرون ،الإمتاع و الانتفاع بمسالة سماع السماع ،ط1، مطبعة الأندلس ، القنيطرة، المغرب

المصادر و المراجع بالغة الفرنسية

Cheik Khaled Bentounes ,un Etablissement sans fin la poésie dans le soufisme par Eric Geoffroy Éditions du Seuil 2007

ELIADE M, le sacré et le profane, Gallimard ,paris ,1967

Le soufisme et la dance chez djallal Eddine ruimi sud Edition, Tunisie 1980

Millad Aissa 1986 A lyaquouta poème mystique de sidi Essai d’édition critique et étude du texte selon la tradition soufi entreprise nationale du livre Alger

الرسائل

ا لطالبة بلمبروك فضيلة ،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ثورات الطرق الصوفية في أواخر العهد العثماني" التيجانية" نمودجا-السنة الجامعية 2013/2012م،

الطالبة عديلة بوشكيرو ،مدكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تجليات المصطلح الصوفي في ديوان الأمير عبد القادر،قسم اللغة العربية و الأدب - السنة الجامعية 2015/2014م

الطالب راجعي عبد العزيز،رسالة نيل الماستر السماع الصوفي مقامات و طبوع ،دراسة حالة الطريقة العلاوية بمستغانم ،إشراف الدكتور بسدات عبد الصمد 2021/2020 ،.

الطالب عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن عبد الله القرشي ،رسالة نيل الماجستير السماع عند الصوفية ،عرض و نقد على ضوء عقيدة آهل السنة و الجماعة ،تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

الطالب الطاهر بونابي ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9 ه- 14و 15 م-اطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط القسم 2، 2009/2008 ، جامعة الجزائر .

بن ساحة عبد الله ،اطروحة دكتوراه السماع الصوفي في الجزائر جمع و دراسة،قسم اللغة التاريخ- السنة الجامعية 2015/2014م،

بحث عام ،قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية 2017/03/21 ، الموسيقى الدينية و تجلياتها "الموسيقى الصوفية نمودجا" مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث ،عامر بن زيد الوائلي ،باحث عراقي ، جميع الحقوق محفوظة 2017

المراجع الشفوية

لقاءات مع عائلة و ابناء المسمع سي لحسن بلخير و فقراء الزاوية العلاوية

المقالات و الملتقيات

مقال في موسوعة التاريخ الجزائري عن مدينة مستغانم على منصة الفايسبوك.

الملتقى الدولي للسماع الصوفي بمدينة طنجة-المغرب سنة 2010

الدواوين

ديوان الشيخ العلاوي للسماع الصوفي

ديوان ابن الفارض

المجلات و المنتديات

الدكتور قويدر قيداري ، مجلة الدراسات الثقافية و اللغوية الفنية ،العدد 04 جانفي 2019 المركز الديمقراطي العربي ،المانيا ،برلين

الدكتورة إسعاد عيد الهادي قنديل ، السماع عند الفرس و العرب ،منتدي سور الازبكة WWW.BOOKS4ALL.NET2004م

المواقع الالكترونية

www.sama3y.org موقع الكتروني

www.arm.wikipedia.org موقع الكتروني

الملاحق

صورة للمسمع سي لحسن بلخير

صورة تذكارية في الزاوية العلاوية الأم بتجديت مستغانم عام 2009

صورة تذكارية للشيخ الحاج المهدي بن تونس مع المسمع سي لحسن بلخير عام 1956

صورة لضريح سي لحسن بلخير بمقبرة العرصة مستغانم

صورة لمأذنة الزاوية العلاوية بحي تيجديت العتيق بمستغانم

البندير

الدف

الطبل

الغايطة

قصيدة " فلا ترضى" تشفع يا رسول الله فينا كاملة للشيخ احمد بن مصطفى العلاوي

فلا ترضى بغير الله حبا ***** كل شيء ما دونه سراب

نصحتك إن كانت لك نسبا *****أهل الذكر في محبوبيهم غابوا

فلا عيش إلا لذوي القربى *****ليس لهم عن الحق حجاب

أين الجنان منهم أين طوبى ***** عباد الله من الشوق ذابوا

شربوا من مدامته غبا *****أخذهم عنهم ذاك الشراب

يا ليت لك من كأسهم شربا ***** تكون لك في قربنا سباب

فنعم العبد للنداء لبى ***** عندما أتاه منا الخطاب

فإن كانت لك في الله رغبا ***** صحبتنا شرط ولا ارتياب

فهرس المحتويات

شكر و عرفان .....

المقدمة .....

1-إشكالية البحث 1

2- تساؤلات فرعية 1

3- فرضيات البحث 1

4- المنهج المتبع 2

5- خطة البحث 2

6- أهداف البحث 3

7- أهمية البحث 3

8- أسباب اختيار الموضوع 3

9- حدود البحث 4

10- صعوبات البحث 4

11- الدراسات السابقة 5

12- مصطلحات البحث 5

الفصل الأول:خصائص و مميزات السماع الصوفي 6

تمهيد 7

المبحث الأول :مذهب التصوف 7

1- ماهية التصوف 7

2- مراحل تطور التصوف 9

3- الطريقة الصوفية 12

المبحث الثاني: التصوف و الفن 13

1 - ماهية التصوف و الفن 13

2- علاقة المتصوفة بالفن 14

3- الموسيقى الصوفية 15

4- أقسام الموسيقى الصوفية 16

4-1 الموشح عند الصوفية 16

4-2 الشعر عند الصوفية 17

4-3 الغناء عند الصوفية 18

4-4 السماع عند الصوفية 19

المبحث الثالث : السماع الصوفي في مستغانم 21

1- السماع الصوفي 21

1-1 ماهية السماع الصوفي 21
2-1 نشأة السماع 23
3-1 شروط المسمع : 26
4-1 السماع و كيفية الشروع فيه 27
2- السماع بين الصوفية و الفقهاء في الجزائر 28
3- مستغانم عاصمة السماع الصوفي 29
4- الآلات الموسيقية المستعملة في مدينة مستغانم 30
5- الطرب و الموسيقى في زوايا مستغانم 31
6- مقامات و طبوع السماع الصوفي 32
7- إيقاعات السماع الصوفي 33
الفصل الثاني: دراسة تحليلية لقصائد السماع الصوفي 35
تمهيد 36
المبحث الأول : نبذة تاريخية عن المسمع سي لحسن بلخير 36
المسمع سي لحسن بلخير 36
المبحث الثاني : التحليل الموسيقي لقصائد السماع 37
1- عينة البحث : 37
2- مجتمع البحث : 37
3- المنهج المتبع : 38
4- أدوات البحث: 38
5- الدراسة التحليلية لقصيدة تشفع يا رسول الله فينا 38
معيار تحليل القصيدة 38
5-1 - نمط الأغنية: 39
5-2- كلمات الأغنية 39
5-3- عنوان الأغنية: 39
5-4 - اسم مؤديها: 39
5-5- صولفيج الأغنية: 40
5-6 - البناء الموسيقي 41
5-6-1- ميزان الأغنية : 4/2 41
5-6-2- الإيقاع 41
5-6-3- سرعة الإيقاع: 80 41
5-6-4- المدى اللحني: 41
5-6-5- مقام الأغنية : 42
5-6-6- أسلوب الأغنية : 43
5-6-7- الأبعاد الصوتية : 43

5-6-8- الأشكال الإيقاعية اللحنية : 43
5-7- استخلاص 43
6- الدراسة التحليلية لقصيدة ما راحاتي 44
6-1- نمط الأغنية 44
6-2- كلمات الأغنية 44
6-3- عنوان القصيدة: 44
6-4- اسم مؤديها : 44
6-5- صولفيج الأغنية 45
6-6- البناء الموسيقي : 46
6-6-1- ميزان الأغنية : 46
6-6-2- سرعة الإيقاع: 120 46
6-6-3- الإيقاع: 46
6-6-4- المدى اللحني 46
6-6-5- الطبع: 47
6-6-6- الشكل الموسيقي: 47
6-6-7- الأبعاد الصوتية: 47
6-6-8- الأشكال الإيقاعية اللحنية 48
6-7- الاستنتاجات 48
الخاتمة 49
قائمة المصادر و المراجع 50
الملاحق 54

الطابع الصوفي للموسيقى الأندلسية في مدينة مستغانم

ـ المسمع سي لحسن بلخير نموذجا ـ

ملخص البحث:

السماع الصوفي هو ذلك النوع الموسيقي الهادف ، حيث يعتمد الصوفية على السماع كوسيلة من وسائل التقرب الى الله فهو يرتقي و ينقي النفس من الشوائب و يقوم بتاديبها ، و قد انتشر هذا النوع من الموسيقى في منطقة مستغانم منذ القدم و تمركز في عدة زوايا ،كما قام بتاديته عدة مسمعين من المنطقة أمثال الشيخ سي لحسن بلخير و غيرهم ، و اعتمدوا على السماع الصوفي لاحياء مختلف المناسبات في المنطقة.

اما الهدف من هذا البحث هو كتابة تاريخ الصوفية و السماع الصوفي وكذا ذكر بعض خصائصه الموسيقية في منطقة مستغانم ، اما الهدف الثاني فهو تدوين بعض الأغاني المتوارثة و المنتاقلة من شيوخ الزاوية العلاوية .

الكلمات الافتتاحية

التصوف Le soufisme Sufism

التصوف في الجزائر Le soufisme en Algerie Sufism in Algeria

الموسيقة الأندلسية La musique andalous Andalousin Music

السماع الصوفي Le chant soufi Sufi Chanting

الزوايا في مستغانم Les zawyas à Mostaganem The Zawiyas in Mostaganem

الروحانية Spiritualité Spirituality

Le chant soufi de la musque andalouse dans la ville de Mostaganem

L'interprète cheikh Lahcen BELKHEIR -à titre d'exemple

Résumé :

Le chant soufi c'est ce genre de musique utile, les soufis s'appuient sur le chant spirituel soufi comme l'un des outils pour se rapprocher du dieu, il redresse et purifie l'âme de toutes impuretés.

Ce genre de musique est très ancien dans la région de Mostaganem, il s'est installé principalement dans les zawiyas, il a été adapté par plusieurs interprète soufi pour célébrer les fêtes religieuses dans la région, comme le cheikh Lahcen BELKEIR et d'autres encore.

Le but de cette mémoire c'est de mettre la lumière sur l'historique soufi, en particulier le chant spirituel soufi, est de cité ses particularités musicales dans la région de Mostaganem, autre intérêt

de rassemblé les anciennes chansons hérité des cheikhs de la zawiyas Allawiya

Mots clés :

Sufism Le soufisme التصوف

Sufism in Algeria Le soufisme en Algerie التصوف في الجزائر

Andalousin Music La musique andalous الموسيقة الأندلسية

Sufi Chanting Le chant soufi السماع الصوفي

The Zawiyas in Mostaganem Les zawyas à Mostaganem الزوايا في مستغانم

Spirituality Spiritualité الروحانية

The Sufi chant of Andalusian music in the city of Mostaganem

The interpreter Sheikh Lahcen BELKHEIR - as an example

Summary of memory:

Sufi chanting is that kind of useful music, Sufis rely on Sufi spiritual chanting as one of the tools to get closer to the god, it straightens and purifies the soul from all impurities.

This kind of music is very old in the Mostaganem region, it settled mainly in the zawiyas, it was adapted by several Sufi performers to celebrate religious festivals in the region, such as Sheikh Lahcen BELKEIR and others. .

The purpose of this memory is to shed light on the Sufi history, in particular the Sufi spiritual song, is to cite its musical particularities in the Mostaganem region, another interest

to collect the old songs inherited from the sheikhs of the zawiyas Allawiya

Openingwords

Sufism Le soufisme التصوف

Sufism in Algeria Le soufisme en Algerie التصوف في الجزائر

Andalousin Music La musique andalous الموسيقة الأندلسية

Sufi Chanting Le chant soufi السماع الصوفي

The Zawiyas in Mostaganem Les zawyas à Mostaganem الزوايا في مستغانم

Spirituality Spiritualité الروحانية